خالدة جرار

الاحتجاج لأجل الحرية

تجربة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الإحتلال "الإسرائيلي"

كتاب الجنوب

الاحتجاج لأجل الحرية:
تجربة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال "الإسرائيلي"
كتاب الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية (6)

خالدة جرار

الاحتجاج لأجل الحرية: تجربة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال "الإسرائيلي"

دائرة سليمان الحلبي
للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي
القدس، فلسطين

الاحتجاج لأجل الحرية:
تجربة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال "الإسرائيلي"،

خالدة جرار

Protesting for Freedom:
The Experience of Palestinian Women Prisoners in "Israeli" Occupation Prisons

Khalida Jarrar

دائرة سليمان الحلبي
للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي
القدس، فلسطين (الطبعة الأولى، 2026)
لوحة الغلاف: منذر جوابرة
استراتيجيات المرونة # 10، 2025
إسمنت وخيوط وزهرة ورد المجنونة ومواد مختلفة على قماش، 140x100 cm
التدقيق اللغوي: قسَم الحاج
تصميم الغلاف: محمد خيّران
جميع الحقوق محفوظة ©
الترقيم الدولي: 978-9950-443-00-6

المحتوى

خلفية سياقية: الاحتجاج لأجل الحرية والأبعاد الطبقية والنوع اجتماعية للحركة الأسيرة الفلسطينية 13

القسم الأول: تقاطعات احتجاجية في سجون القمع—فلسطين، والمغرب، وأيرلندا

1.مقدمة 17

2.سياق الاحتجاج والتمرُّد داخل السجن 20

3.التجارب العالمية للإضراب عن الطعام 24

1.3 تناقل التجربة: الإضرابات في السجون الاستعمارية العالمية

2.3 الإضرابات في السجون العالمية من أجل فلسطين

3.3 التجربة المغربية

4.3 التجربة الأيرلندية

خلفية الاحتجاجات

إضراب الأسيرات الأيرلنديات

سجن أرماغ

تقاطع التجربتين الفلسطينية والأيرلندية

القسم الثاني: ممارسات احتجاجية في السجون الصهيونية—العصيان، الإضراب عن العمل، الإضراب عن الطعام

4.الاحتجاج في تجربة الحركة الأسيرة الفلسطينية 41

5.الاحتجاجات التاريخية (1967-2026) 47

1.5 الإضراب عن العمل

2.5 المتغيرات السياسية وحالة المدِّ والجزر

3.5 احتجاجات الأسيرات الفلسطينيات كممارسة نسوية تحررية

4.5 تغييب احتجاجات الأسيرات الفلسطينيات

1969: الإضراب الأول

1972: نحن معك لن نتركك

1980: إضراب سجن نفحة

6.الإضرابات عن العمل 66

7.الإضرابات السياسية بعد اتفاقية أوسلو 72

1.7 الإضراب السياسي التاريخي 1995

2.7 الإضرابات الفردية والحزبية عن الطعام

8.خاتمة 84

الإحالات 86

المرجعية 98

ملخص

تنبثق هذه الدراسة، بعنوان: "الاحتجاج لأجل الحرية: تجربة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال 'الإسرائيلي'" من مشروع بحثي أوسع بعنوان: "الأبعاد الطبقية والنوع اجتماعية للحركة الأسيرة الفلسطينية"، وهو مشروع تشتغل عليه المؤلفة كباحثة متطوعة في معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان في جامعة بيرزيت، فلسطين. تتناول الدراسة في قسمها الأول، وعلى نحو مقارن، التقاطعات الاحتجاجية في سجون القمع في فلسطين، والمغرب، وأيرلندا التي تتشابه فيها، حدَّ التماثل، سياسات القمع السجنية في كيانات ما بعد استعمارية، واستعمارية، واستبدادية من ناحية، واستراتيجيات النضال النسوي في مواجهة تلك السياسات من ناحية أخرى. كما تتناول في قسمها الثاني، الممارسات الاحتجاجية للأسيرات الفلسطينيات في السجون الصهيونية في الفترة الممتدة بين 1967-2026، والمتمثلة بالعصيان، والإضراب عن العمل، والإضرابات السياسية لأجل الحرية الكاملة، مع تركيز خاص على الإضراب عن الطعام باعتباره أداة موقعها الجسد وهدفها المشاركة في النضال داخل السجون كجزء من المقاومة النسوية التحررية التي تتكامل مع النضال الوطني لأجل الحرية وتقرير المصير. وتسعى هذه الدراسة إلى سدِّ فجوة الندرة في تغطية الاحتجاج لأجل الحرية في الحركة الفلسطينية الأسيرة منطلقة من تجربة الأسيرات الفلسطينيات، ومعتمدة، في جانب، على منهجية الحوارية التذكُّرية رفقة الأسيرات السابقات لئلا تجعل من "المقابلة" عودة غير منتجة لذكريات "التحقيق" و"المواجهة" المؤلمة، وعلى تجربة المؤلفة نفسها في الأسر، في جانب آخر.

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر للصديقة رنا بركات (أستاذة التاريخ في جامعة بيرزيت في فلسطين والأستاذة الزائرة في جامعتي برينستون في الولايات المتحدة وجامعة سايمون فريز فانكوفر في كندا) التي أشرفت على هذه الدراسة وتابعتها منذ مراحلها الأولى. كما أعبِّر عن امتناني لفريق العمل في معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان في جامعة بيرزيت، حيث أعمل باحثة متطوعة، وأشارك في تدريس مساق "دفاتر السجن: الحركة الفلسطينية الأسيرة" مع الزميل عبد الرحيم الشيخ، في دائرة الفلسفة والدراسات الثقافية. والشكر موصول كذلك للجنة البحث العلمي في جامعة بيرزيت على دعم المشروع البحثي الأوسع، ولمحرِّري ومحرِّرات **الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية** على ملاحظاتهم واقتراحاتهم في إعداد المسودة النهائية لهذه الدراسة.

"تذكَّروني بفرح،
فأنا وإن كان جسدي بين القضبان الموحشة،
فإن روحي العاتية مخترقة لأسوار السجن العالية،
وبواباته الموصدة، وأصفاده وسياط الجلَّادين الذين أهدوني الموت.
أما جراحي، فباسمة محلِّقة بحرية، بحب متناهٍ، وتضحية فريدة، وبذل مستميت."

سعيدة المنبهي، المغرب، 1977

خلفية سياقية: الاحتجاج لأجل الحرية
والأبعاد الطبقية والنوع اجتماعية للحركة الأسيرة الفلسطينية

إن هذه الدراسة هي جزء أول من مشروع بحثي أوسع، يتناول الأبعاد الطبقية والنوع اجتماعية للحركة الأسيرة الفلسطينية من سنة 1967 وحتى الآن. تعالج الدراسة فرضية أن النسوية هي ممارسة تحررية من خلال فحص دوافع النساء الفلسطينيات للالتحاق بحركات المقاومة الفلسطينية وما ترتب على ذلك من اعتقالهن ووقوعهن في الأسر (سواء الدوافع المشتركة والعامة التي ارتبطت بطبيعة المرحلة التاريخية المتعلقة بتبلور الحركة الوطنية الفلسطينية ونضال حركات التحرر العربية والعالمية ضدَّ المنظومة الاستعمارية، أو الدوافع المباشرة للعنف الاستعماري على فلسطين وممارستهن أشكالاً من المقاومة غير المرئية كسياسة تحتية في مواجهة بنى القمع والسيطرة). وتربط الدراسة بين نضال الفلسطينيين ونضال أحرار العالم في مواجهة أساليب العنف المتشابهة للمنظومة السجنية الرأسمالية العالمية المنتجة للعنف المربح، وأشكال الاحتجاج المتعدِّدة التي مارسها أحرار العالم (داخل السجون)، مركِّزتاً على دور النساء في هذه التجربة.

كما تتناول الدراسة: عوامل الصمود في التحقيق التي تتلو مواجهة لحظة الاعتقال، وتفاصيل حياة الأسيرات داخل السجن، وعوامل تعزيز قوتهن وجماعيَّتهن في المواجهة، ودور ذلك في إعادة صياغتهن لمفهوم النسوية كممارسة تحررية، ودور حركة التحرر في بلورة وعي طبقي يربط النضال الوطني بالاجتماعي. تفترض الدراسة أن لموقعية الأسيرات أهمية بالغة في الممارسة التحررية النسوية وهي جزء من الممارسة التحررية العربية والعالمية للنساء داخل الأسر.

تولي الدراسة عناية خاصة بموقع النساء في تحليل التكوين الطبقي للفلسطينيين وانعكاسه على المشاركين في الثورة ضدَّ الاستعمار منذ انتفاضة القسام في العام 1935 والثورة الكبرى 1936-1939 والتي غلب عليها التكوين الفلاحي، حيث تعارض ذلك مع طبيعة النخب السياسية الفلسطينية التي طغى على تكوينها كبار ملَّاكي الأراضي والتجار، حيث بقيت النخب أسيرة الشروط السياسية والاقتصادية التي أقامها الاستعمار.[1] ومن ثم ترصد الدراسة انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة

ونشأة المقاومة التي تبلورت بعد احتلال سنة 1967، وتغيُّر التكوين الطبقي لهذه النخب التي تنتمي إلى البرجوازية الصغيرة.[2] كما تواكب ما حدث من تغيرات على الحركة الفلسطينية الأسيرة بفعل اتفاقيات أوسلو 1993، التي توسَّطت انتفاضة الحجارة 1987 وانتفاضة الأقصى 2000، وما ترتب عليها من تبعات حتى اللحظة.

وفي هذا السياق، تم فحص الأدبيات عن النسوية الفلسطينية وإثارة النقد للرؤية الليبرالية في فهمها الذي يفصل نضال النساء الفلسطينيات الوطني عن الاجتماعي الاقتصادي، وذلك من خلال تجربة الأسيرات الفلسطينيات بغية بلورة فهم جديد لمعنى النسوية في السياق الاستعماري بوصفها فعلاً وممارسة تحررية، وإنسانية وعدالة وحرية، ومنهجية لأيّ عملية تحررية. وبذا، تأتي هذه الدراسة لتسد فجوة في الدراسات حول الأسر في السياق الفلسطيني—الدراسات التي لم تولِ اهتماماً لترابط الأبعاد الطبقية والنوع اجتماعية للحركة الأسيرة. ذلك بأنه لم يتم تسليط الضوء بشكل كافٍ على تجربة الأسيرات الفلسطينيات كفاعلات سياسيات في عملية التحرر، وتحديداً استخدام أداة التحليل الطبقي. وبطبيعة الحال، فقد تمت مراجعة العديد من الأدبيات العالمية والعربية والفلسطينية حول تجربة السجن وبشكل خاص تجربة الأسيرات. كذلك أفادت الدراسة من موقعية الباحثة التي خاضت الأسر في مراحل زمنية مختلفة، ما أتاح لها فرصة الملاحظة بالمشاركة من خلال الانخراط والتفاعل مع الأسيرات.

تعتمد الدراسة المنهج الكيفي باستخدام أسلوب الحواريات الجماعية[3] مع الأسيرات السابقات في مختلف المراحل الزمنية في الاعتقال. وقد اعتمدت الحواريات أسلوب المشاركة في نقاش محاور الدراسة وتطويرها، وليس السؤال والجواب، ما أفسح المجال لفضاء أوسع لتعرُّف الأسيرات على تجارب بعضهن البعض الآخر بشكل معمَّق واكتشاف معلومات جديدة، ومنها الظروف المتشابهة لمنظومة الأسر في فلسطين وخارجها.

لقد كانت الحواريات الجماعية لقاءات دافئة تحدثت الأسيرات فيها عن تجربة الماضي البعيد "القاسية" وكأنها حدثت اليوم، فأفشين بعض أسرارهن للمرة الأولى. كما شكَّلت الحواريات تنشيطاً للذاكرة أو بالأحرى وجدت الذاكرة العميقة المتأصِّلة في التجربة النضالية طريقها للتعبير إذ كانت

تتطلَّع للمساحة التي تتيح للأصوات المكبوتة والمهيمَن عليها التعبيرَ في فضاء يكسر منظومة الهيمنة الذكورية التي تعيشها النساء عموماً. فشكَّلت الحواريات أداة معرفة وتعلُّم يصعب إيجادها في الأدبيات المكتوبة. وبالإضافة إلى ذلك، تمَّ إجراء مقابلات معمَّقة لمن تعذَّر مشاركتهن في الحواريات الجماعية من الأسيرات المحرَّرات، والتي أضافت دروساً جديدة للدراسة. وقد أغنت حواريات أسيرات غزة، التي أجريت قبل بدء حرب الإبادة 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023،[4] هذه الدراسة بمعلومات جديدة من حيث أعداد الأسيرات في البدايات، ومن حيث المقاومة غير المرئية التي مارستها الأسيرات قبل الاعتقال، ومن حيث عدم تسليط الضوء على أسيرات قطاع غزة بشكل كافٍ. وقد شكَّلت الأسيرات من قطاع غزة أعلى نسبة في الأعوام بين 1967-1976، تلتها نابلس المدينة، ثم القدس ورام الله.

يأتي موضوع الاحتجاجات المتنوعة للأسيرات الفلسطينيات، بوصفه أحد فصول البحث الأوسع المشار إليه آنفاً، في إطار الحديث عن المقاومة النسوية داخل الأسر والتي لم تقتصر على الإضراب عن الطعام، وإنما شهدت أشكالاً متعدِّدة من الاحتجاج والعصيان، مثل: الإضراب عن العمل، والإضرابات السياسية، وغيرها من أشكال الاحتجاج التي مارستها الأسيرات ولم تحظَ بتسليط الضوء الكافي عليها في الأدبيات التي تناولت موضوع الأسيرات. كما تفترض الدراسة أن هذه الاحتجاجات لا تعبر عن مقاومة للجسد فقط، وإنما تتعدَّاه إلى الفعل السياسي الجماعي، ما يعبِّر عن الرابط الوثيق بين فعل المقاومة وآليَّاتها داخل الأسر وخارجه كجزء مركزي من مقاومة شعب يسعى للتحرر.

القسم الأول: تقاطعات احتجاجية
في سجون القمع—فلسطين، والمغرب، وأيرلندا

1. مقدمة

ينطلق مفهوم الاحتجاج والتمرُّد من رفض علاقة الهيمنة والقمع، ويتَّخذ التمرُّد والاحتجاج أشكالاً متعددة تعبرِّ عن الرفض لهذه العلاقة، وممارسة بديل ثوري عملي ينتج نظاماً موازياً لنظام الهيمنة ويسعى إلى التحرر. ويعتبر السجن أحد الأماكن المصغَّرة لتحدي المستعمر ورفضه والخلاص منه، إذ إن الاحتجاج والتمرُّد يعبِّران عن علاقة ممتدَّة بين الأسرى داخل السجن ومشروعهم التحرري الأوسع خارجه—أي أنه نضال جماعي منظَّم وليس نضالاً فردياً. "إن ذات المناضل الفلسطيني الأسير هي انتماؤه إلى وطنه وشعبه أولاً، ثم انتماؤه إلى طبقته الاجتماعية التي تعطيه طموحاً في إطار طموح لشعب كله لأجل التحرر،"[5] وأي فصل لهذه العلاقة المتكاملة يجعل شكل التمرُّد فردياً واحتجاجاً دون هدف، ويؤدِّي إلى التعامل مع الأسيرات كأسيرات فقط، وليس كمناضلات مرتبطات بمشروعهن التحرري العام.

من هنا، نعرض في هذا البحث تجارب فلسطينية وعربية وعالمية لتعزيز فكرة النضال السياسي الجماعي للمقموعين والمضطهدين والمستعمرين، من النساء والرجال، الذين عاشوا تأثيرات قمع أنظمة الاستبداد والاستعمار داخل السجن كأحد تجلِّيات عنف الرأسمالية العالمية. وقد شهدت مقاومة هذا العنف تشابهاً في أدواتها على الرغم من اختلاف السياقات، لكن يبقى ما هو مشترك من خصائص، متمثلاً بتشابه المنظومة السجنية القمعية من جهة، وتشابه أدوات النضال ضدَّها كجزء من نضال أوسع وهو نضال التحرر بمعناه الشمولي: سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، من جهة أخرى. فنضال الأسيرات عبر تجاربهن التي نستعرضها هنا اتخذ أشكالاً متعدِّدة للاحتجاج، منها: الإضراب عن العمل، والاعتصام داخل الغرف، وعصيان الأوامر، وإرجاع وجبات الطعام، والإضراب عن الطعام. وقد مارست الأسيرات هذه الأشكال النضالية للمطالبة بتحسين ظروف حياتهن داخل الأسر، والاعتراف بهن كأسيرات سياسيات، الأمر الذي شكَّل مطلباً مشتركاً للأسرى الفلسطينيين والعرب وعلى امتداد العالم... وذلك من أجل تحرر شعوبهم من الاستعمار والاستبداد، ومن أمثلته: تجربة الإضراب عن الطعام في سجون الاستبداد في المغرب 1976-1977، وفي أيرلندا في 1975-1980، وفي فلسطين منذ 1967 وحتى الآن.

وبما أن تجارب الأسيرات في الاحتجاجات قد جرى تغييبها في كثير من الأدبيات السجنية

(لأسباب مختلفة، منها ما هو مرتبط بالبنية الذكورية والرأسمالية للتحليل البحثي عموماً، ومنها ما هو مرتبط بتغييب الفقراء ودورهم في المسار التحرري، حيث إن الأسيرات عموماً هن أفقر الفقراء، ليس في فلسطين وحدها وإنما في العالم أجمع)، فإن هذا الجزء من البحث سيركِّز على هذه التجارب دون فصل نضال النساء عن الرجال، و بإبراز تكامله ضمن مفهوم مشترك أوسع للنسوية باعتبارها ممارسة تحررية تشمل الرجال والنساء.

لقد حصرت غالبية الدراسات التي تعاملت مع حالات التمرُّد داخل السجون "الإسرائيلية" أشكال الاحتجاج بالإضراب عن الطعام متجاهلةً أن أشكال التمرُّد والاحتجاجات المختلفة أوسع من الإضراب عن الطعام. وقد ركَّزت هذه الدراسات أكثر من اللازم على مقاومة الجسد (الفرد)، وليس على ما يعنيه الاحتجاج من مقاومة سياسية جماعية، ما جعل التمرُّد والاحتجاج يبدوان نضالاً فردياً للجسد الأسير على نحو يطغى على المضمون السياسي الجماعي للنضال من داخل السجن. ولذا، فإن من المهم قراءة هذه الاحتجاجات كنضال ذي معنى أبعد من مقاومة الجسد، فهو تعبير عن فاعلية جماعية للأسرى والأسيرات ضمن مشروع سياسي تحرري أوسع. كما أن الاحتجاج لا يقتصر في شكله على الإضراب عن الطعام، وإنما هناك أشكال أخرى من الاحتجاج والتمرُّد ذات مدلول سياسي أوسع، نحو: الإضراب عن العمل في العام 1983، والإضراب السياسي في العام 1995 الذي قاد الأسيرات الفلسطينيات إلى الحرية نتيجة لرفض العبودية الاستعمارية عليهن في إطار رؤيتهن لمعنى النضال السياسي.

2. سياق الاحتجاج والتمرُّد داخل السجن

اتخذ نضال الأسيرات والأسرى الفلسطينيين داخل السجون عدة أشكال من الاحتجاج، منها رفض العمل الإجباري في منشآت الاحتلال في العام 1973، والمطالبة بالاعتراف بهم كأسرى سياسيين، والاعتراف بتمثيلهم الاعتقالي في إضراب العام 1976، كما في الإضرابات السياسية التي عبروا فيها عن رفضهم للمفاوضات السياسية التي استثنتهم في العام 1992. وقد تميَّزت الأسيرات في العديد من الخطوات الاحتجاجية، ومنها: الإضراب عن العمل الإجباري في الأعوام 1983-1984 الذي استمر لعشرة أشهر، والإضرابات السياسية التي كان أبرزها الإضراب عن الحرية المنقوصة في العام 1995 وذلك احتجاجاً على استثناء جزء منهن من عملية الإفراج، وإصرارهن على تحرير جميع الأسيرات عبر الإضراب السياسي الذي استمر 16 شهراً، وانتصارهن في النهاية بالإفراج عن جميع الأسيرات في شباط 1997.

حملت الاحتجاجات المختلفة معانيَ ومضامين أبعد من مقاومة الجسد، ذلك أنها مقاومة سياسية جماعية مغايرة لمفهوم النضال الفردي، ولا علاقة لها بالأنانية المرافقة للأفكار الليبرالية. فالاحتجاجات، في حالة الأسيرات الفلسطينيات، هي ممارسة جماعية تشاركية تطوَّرت في سياق القمع الواقع عليهن كجماعة من قبل "إدارة مصلحة السجون 'الإسرائيلية'"، ومن خلال وعي طبقي جماعي ناضج يسعى لإحداث التغيير كجزء من مشروع نضالي تحرّري ضدَّ الاستعمار والاحتلال والاستغلال.

لقد سعت منظومة السجن الاستعمارية الاستيطانية في فلسطين إلى تحويل الأسرى لذوات فردية منعزلة عبر سلسلة من الإجراءات، أهمها رفضهم التعامل مع الأسرى كمجموعة عبر فرض استخدام عبارة "أنا وليس نحن،"[6] والتعامل بشكل فردي مع كل أسير أو أسيرة، ورفض التمثيل الاعتقالي الذي يعبِّر عن إرادة جمعية أمام إدارة السجن، حيث قاوم الأسرى والأسيرات ذلك بأشكال متعدِّدة من الاحتجاج والتمرُّد تُوِّجت بسلسلة من الإضرابات عن الطعام.

يركز هذا الجزء من البحث على تجربة الأسيرات الفلسطينيات في المقاومة والاحتجاج والتمرُّد وفي الجماعية في نضالهن السياسي والاجتماعي الذي تعرَّض للتهميش في بعض الأدبيات كجزء من منظومة الهيمنة الذكورية التي تهمِّش دور النساء. وهو كذلك جزء من تهميش طبقي لدور الفقراء

إذ إن غالبية الأسيرات والأسرى الذين تعرضوا للأسر جراء مشاركتهم في مقاومة المستعمرين الإنجليز والصهاينة، سواء في ثورة القسام 1935 أو في الثورة الكبرى 1936-1939، كانوا من الطبقات الفقيرة والمسحوقة.[7] وكانوا كذلك من طبقة البرجوازية الصغيرة والمتوسِّطة بعد نكبة 1948 ونكسة 1967، وبشكل خاص الطلبة الجامعيين والمهنيين وشرائح من العمال والمثقفين.[8]

إن فكرة الاحتجاجات والتمرُّد وصولاً للإضراب عن الطعام كأحد أشكال المواجهة مع الاستعمار داخل السجن تناقلها الأسرى والأسيرات في فلسطين ممن سبقهم من مناضلي العالم داخل السجون، فالخبرات تتناقل وتتطوَّر عبر الممارسة والتعلُّم المستمر ضمن الواقع الملموس للمواجهة. وهذا ما سيتضح تالياً من خلال إبراز أوجه التشابه بين العديد من التجارب في الاحتجاج والتمرُّد والإضرابات عن الطعام لدى مناضلي ومناضلات العالم، وكذلك تشابه العديد من أشكال القمع لهذه الاحتجاجات من قبل الأنظمة السجنية الإمبريالية والاستعمارية والاستبدادية.

وفي هذا الإطار، سيتم تناول بعض تجارب النضال السجني في بعض أنظمة الاستبداد العربي مع تركيز خاص على الحالة المغربية، كما سيتم تناول التجربة السجنية الأيرلندية كتجربة عالمية رائدة. هنا، سيتم فحص مدلول امتداد وتشابك الأدوات العقابية للاستعمار البريطاني لفلسطين، وتبنِّي هذه الأدوات وتطويرها من قبل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وخاصة ما يتعلَّق بالسياسات العقابية المرتبطة بأدوار الشرطة وإدارة السجون، وتطبيق سياسات الاعتقال، وتقاليد التعذيب، ومواجهة الاحتجاج والتمرُّد، وأنظمة الطوارئ والاعتقال الجماعي والإداري. ولا شك أن هذا التقاطع كلَّه يؤكد أن الاستعمار الصهيوني قد تعلَّم من الاستعمار البريطاني، واستنسخ أدواته العقابية، وطوَّر عليها حتى أصبحت جزءاً من صادراته القمعية للعالم. وبذلك، لم تعد "إسرائيل" متلقية للمعرفة الاستعمارية العنفية فحسب، بل أصبحت مصدِّراً مركزياً لها، وذلك بعد أن صارت المؤسسات العسكرية والأمنية "الإسرائيلية" بؤرة تدريب للشرطة والجيش من أنحاء مختلفة من العالم في برامج تبادل الخبرات، ومنها التدريب المشترك بين الشرطة "الإسرائيلية" والشرطة والأمريكية وتدريب القوات الأمريكية في قواعد تشبه المدن والبلدات والمخيمات الفلسطينية،[9] وغير ذلك من المؤشرات التي تظهر أن العنف هو مكون أساسي للمنظومة الرأسمالية التي تعتبر السجون أحد أدواتها.

وفي نحو مماثل، نلاحظ تشابهه الحالة الأيرلندية والحالة الفلسطينية، من حيث: (1) تشابه أدوات

القمع الممارس من قبل سلطات السجون البريطانية، وبشكل خاص سياسات التعرية والتغذية القسرية والضرب والتعذيب التي أدَّت إلى موت العديد من المضربين عن الطعام في إضراب العام 1981؛ (2) تشابه مضمون المطالب السياسية للأسرى الأيرلنديين، وبشكل خاص الاعتراف بهم كأسرى سياسيين يمثِّلون جزءاً من حركة التحرر الجمهورية الأيرلندية، والفلسطينيين كجزء من حركة التحرر الفلسطينية؛ (3) تشابه أشكال الاحتجاجات وبشكل خاص الإضراب عن الطعام. إن تقاطع التجربتين يساعد في فهمنا طبيعة الاستعمار والاستعمار الاستيطاني في التعامل مع منظومة السجن، وفي تناقل تجربة المناضلين والمناضلات الأسرى في سجون الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وفي السجون البريطانية الاستعمارية. أما على مستوى التجارب العربية، فسيتم التركيز تالياً على التجربة المغربية، وتقارب أدوات القمع السجنية وأشكال الاحتجاج التي أدَّت إلى استشهاد المناضلة سعيدة المنبهي في السجون المغربية في العام 1977.[10]

3. التجارب العالمية للإضراب عن الطعام

شهد العالم تحولاً من الليبرالية إلى النيوليبرالية في نهاية سبعينيات القرن الماضي، والتي يعرِّفها ديفيد هارفي بأنها مشروع سياسي يهدف إلى إعادة ترسيخ سلطة الطبقة الرأسمالية.[11] وقد تبلور هذا التحوُّل في سياق سياسات مارغريت تاتشر في بداية السبعينيات، حيث جرى تعزيز أدوات القمع كوسيلة لإعادة تشكيل الدولة والمجتمع. ويستدلُّ هارفي على ذلك بتجربة أوغستو بينوشيه في تشيلي، حيث استخدم العنف الممنهج، بما في ذلك القتل والإخفاء القسري والسجون، لقمع الحركات الشعبية وترسيخ النموذج النيوليبرالي.[12] ولذا، لم تعد النيوليبرالية قادرة على تجديد ذاتها إلا بأدوات أكثر عنفاً، وبتحوُّل الرأسمالية إلى منظومة منفلتة وغير مقيَّدة باستخدام العنف الفاشي كتعبير سياسي عن الحقبة النيوليبرالية بمزيد من الاستبداد والحروب والاستعمار العنيف، ذلك أن الاستعمار هو وحشية العنف المطلق، وهو الفرض العنيف لنظام عالمي يخدم مصالح الطبقة الحاكمة، وهي طبقة رأسمالية أبوية بيضاء.[13]

من جانب آخر ترى أنجيلا ديفيس أن السجون تمثِّل فضاءً رأسمالياً ينتج الربح من خلال القمع، حيث تتقاطع أشكال العنف الاستعماري والرأسمالي في ممارسات، مثل التعذيب والقتل والمحو والاستعباد.[14] وتضفي السجون على هذه الممارسات شرعية ظاهرية عبر أطر قانونية ليبرالية تعمل على تجميلها وإخفاء طابعها القمعي. وفي السياق ذاته، تشير لاله خليلي إلى التشابه البنيوي في ممارسات السجن والمعسكرات عبر الأنظمة الليبرالية سواء من حيث أنماط العنف الممارَس بحق المعتقلين أو من حيث تنظيم فضاءات الاحتجاز نفسها والتي تبرَر غالباً بخطاب "مكافحة التمرُّد."[15]

عرف التاريخ الإنساني الكثير من التجارب التي تمرَّد فيها الأسرى على قمعهم وظروفهم المعيشية اللاإنسانية والعنف الممارس عليهم وعدم الاعتراف بهم كأسرى سياسيين أو كجزء من حركة تحرر شعوبهم، وذلك من خلال أشكال متعددة من الرفض والتمرُّد التي يتصدرها الإضراب عن الطعام كأحد أشكال المقاومة الأشمل من مقاومة الجسد. وقد ركَّزت الكتابات العالمية والعربية والفلسطينية، التي سنناقشها تالياً، على مقاومة الجسد خلال الإضراب عن الطعام وفي مواجهة التحقيق والصمود في وجه المنظومة القمعية. لكن الاستناد إلى مقاومة الجسد كأساس غير كافٍ، كما أوضحنا آنفاً، ذلك أن هذه المقاومة تستند إلى وعي طبقي وجماعي في التمرُّد بالإضافة إلى كل

أشكال الاستغلال والاضطهاد المرتبط بتأثير حركات التحرر التي تناضل من أجل التحرر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وإلى إرادة واعية وصمود في وجه المنظومة الاستعمارية العنيفة.

1.3 تناقل التجربة: الإضرابات في السجون الاستعمارية العالمية

لقد شهدت السجون الاستعمارية إضرابات عديدة سقط فيها شهداء وشهيدات، وأشهر هذه الإضرابات هو إضراب السجون الأيرلندية و"احتجاج الوسخ " "Dirty Protest" أو "No Wash protest"، الذي خاضه الأسرى ومناضلات الجيش الجمهوري الأيرلندي في سجن أرماغ Armagh، الذي توفي فيه المناضل الأيرلندي بوبي ساندز Bobby Sands و10 من رفاقه داخل الأسر سنة 1981.[16]وقد شارك الأسرى الفلسطينيون في إضراب عن الطعام تضامناً مع الشهداء الأيرلنديين في حينه.[17]

في ألمانيا شارك أعضاء الجيش الأحمر في عدَّة إضرابات عن الطعام احتجاجاً على عزلهم الانفرادي في السنوات 1973-1975، وتوفي السجين هولغر ماينز Holger Meins سنة 1974 بسبب الجوع. وفي إسبانيا شارك 42 عضواً من جماعة المقاومة المناهضة للفاشية GRAPO في إضراب عن الطعام ضدَّ عزلهم في سجون معزولة عن غيرهم من السجناء. وفي سنة 1990 خاض مئات الأسرى السياسيين في جنوب أفريقيا إضراباً عن الطعام ضدَّ سياسة الاعتقال التعسفي.[18]

وأما في المغرب، فقد خاض الأسرى والأسيرات إضرابهم عن الطعام في تشرين الثاني/ نوفمبر 1977 للمطالبة بالاعتراف بهم كأسرى سياسيين، ومن أجل تحسين ظروفهم داخل السجن، واستشهدت في هذا الإضراب سعيدة المنبهي بعد 34 يوماً من الإضراب، وهي أول شهيدة للإضراب عن الطعام في السجون العربية.[19] وفي تركيا خاض مئات الأسرى اليساريين إضرابات عديدة عن الطعام ضدَّ عزلهم في زنازين منفردة حيث أعلنوا الإضراب حتى الموت ضدَّ سياسة العزل، وتوفي أكثر من 100 أسير منهم بسبب الجوع، وكان أكبر إضراب في سنة 1996 في سجن بوركا التركي، حيث توفي 12 أسيراً في السجون التركية في السنوات 2000-2001. وفي سجن غوانتنامو أضرب المعتقلون، وتمَّ استخدام أنبوب التغذية القسرية بحق المضربين عن الطعام.[20]

2.3 الإضرابات في السجون العالمية من أجل فلسطين

لم يقتصر إضراب مناضلي الحرية في السجون العالمية على مطالبهم الخاصة بأوضاعهم داخل السجون، وإنما تعدَّاها إلى بثِّ رسائل تضامن سياسية مع الشعوب المقهورة والنضال العالمي التحرري. فقد لجأ معتقلو الباسك إلى الإضراب عن الطعام داخل سجونهم للتضامن مع فلسطين أثناء حرب الإبادة، إذ أعلن عشرون معتقلاً سياسياً باسكياً عن تضامنهم مع فلسطين بالشروع في إضراب عن الطعام في تشرين الأول/ أكتوبر 2023، وجاء في رسالة وجَّهوها للشعب الفلسطيني: "تحمَّل الرجال والنساء الفلسطينيون عقوداً من المعاناة بسبب العنف الناتج عن الاحتلال الصهيوني. لقد تمَّ نفيهم بالقوة من منازلهم وتدمير مدنهم وقراهم وتعريضهم للسجن والتعذيب والاغتصاب والقتل. تعتبر الفظائع والمجازر الأخيرة في غزة، والتي ارتكبتها الدولة الصهيونية الإرهابية، مثالاً واضحاً على سياسة الإبادة هذه. وتضامناً مع الشعب الفلسطيني، ودفاعاً عن الحقوق الشرعية للمظلومين سيقوم المعتقلون الباسكيون الذين وقَّعوا على هذا البيان بالإضراب عن الطعام يوم الجمعة 27 تشرين الأول/ أكتوبر 2023."[21]

في تشرين الثاني 2025، بدأت سلسلة من الإضرابات عن الطعام في السجون البريطانية لأسرى اعتقلوا على خلفية انتمائهم إلى الحركة لأجل فلسطين Palestine Action. جاء الإضراب احتجاجاً على التواطؤ البريطاني في حرب الإبادة على غزة، بالإضافة إلى ظروف احتجازهم وهم بانتظار المحاكمة، ومطالبةً بإغلاق شركة السلاح "الإسرائيلية" Elbit. وإثر اعتقالهم، أُطلقت حملة دعم وتمثيل تدعى حملة سجناء من أجل فلسطين Prisoners for Palestine Campaign والتي نظَّمت أكبر إضراب جماعي عن الطعام في السجون البريطانية منذ ثمانينيات القرن الماضي مطالبةً الحكومة بوقف تسليح الإبادة "الإسرائيلية" في غزة.[22] وفي 14 كانون الثاني 2026 علَّق المضربون إضرابهم بعد أن أعلنت الحملة تحقيق انتصارهم إثر خسارة Elbit Systems عقداً بقيمة ملياري جنيه مع وزارة الدفاع البريطانية. وفي هذا السياق، ومع أن Elbit Systems لا تزال تعمل في بريطانيا، فإن ما أظهره هذا الإضراب هو أن أدوات المقاومة قادرة على زعزعة منظومات تبدو راسخة.

وعلى ذلك، لا يمكن فهم الإضرابات عن الطعام بمعزل عن علاقتها بالحركات السياسية الأوسع، ذلك أن نجاحها لا يرتبط فقط بقدرة المضربين على الصمود، بل يرتبط أيضاً بمدى انتشار مطالبهم

في المجال العام، وبحجم الدعم الشعبي، وكذلك باستحضار تجارب السجناء السياسيين من ساحات مختلفة من النضال المناهض للاستعمار والإمبريالية[23] تأكيداً على التشارك في الأهداف المرجوة من الخطوات الاحتجاجية التي تُمارس في سجون العالم وفي النضال التحرري العالمي.

ليس الهدف من هذا العرض السابق تعداد نماذج من الإضرابات العالمية عن الطعام التي خاضها الأسرى والأسيرات في السجون، وإنما للتأكيد على أن القوى الاستعمارية الرأسمالية والاستبدادية التابعة لها، تمارس الأساليب والأدوات العنيفة ذاتها سواء في التعذيب أو في قمع الاحتجاجات بما فيها الإضراب عن الطعام، حيث تتبادل الخبرات القمعية فيما بينها. ولذا، فلا غرابة أن نجد تشابهاً بين الأدوات الاستعمارية البريطانية والصهيونية التي جمعت أسوأ ما في خبرات القمع العنيف من قبل الأنظمة الفاشية والاستبدادية في العالم سواء التي استخدمتها في الهند وأيرلندا، وتلك التي استخدمها البلجيك في الكونغو، واستخدمها الفرنسيون في الجزائر، واستخدمها الإيطاليون في ليبيا، والنازيون في ألمانيا، وغير ذلك من الدول الاستعمارية والأنظمة الاستبدادية.

قام الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين بجمع أسوأ ما في الخبرات القمعية بحقِّ مناضلي الحرية داخل أسوار السجون وخارجها ونقله مجدَّداً إلى العالم عبر تدريبه المستمر لأجهزة الدول الأمنية من شرطة وجيش وقوات قمع. وفي المقابل، استخدمت الأسيرات والأسرى أساليب متعدِّدة في مقاومة عنف السجانين وطوَّروها بالممارسة لتتحول السجون إلى ساحات جديدة للمقاومة التحررية العالمية. فتبادلت المناضلات والمناضلون في حركات التحرر التجارب في المقاومة وطوَّعوها بما يتناسب وظروفهم الخاصة في الشرط الاستعماري أو القمعي ذي الجذر المشترك، وهو العنف المطلق بحق المطالبين بالحرية. إن هذا التشابه يبرز من خلال ممارسة التغذية القسرية أثناء الإضراب عن الطعام والعزل والقمع والتفتيش العاري للمضربين من الأسيرات والأسرى من جانب، وإصرار المضربين عن الطعام بعدم السماح بكسر إضرابهم من جانب آخر. وفي قسم تالٍ من هذا البحث، نوضح ذلك من خلال الإضاءة على تجربة الأسيرات والأسرى الأيرلنديين الذين واجهوا سياسة الاستعمار البريطاني داخل السجن، وذلك نظراً لتشابه التجربتين من جهة، ولخضوع فلسطين للاستعمار البريطاني الذي سبق الاستعمار الاستيطاني الصهيوني وأسس له من جهة أخرى.

لم يقتصر التشابه على أشكال الإضرابات عن الطعام والاحتجاجات الأخرى بين فلسطين والعالم، إذ نجد أوجه تشابه أخرى في الاحتجاج على سياسة الضرب والتعذيب، والتفتيش العاري، وعدم الاعتراف بالسجناء المنتمين إلى حركات التحرر كسجناء سياسيين، والإصرار على أنهم معتقلون جنائيون، والاحتجاج على ظروفهم الحياتية اليومية، والاحتجاج على سياسة العزل، ورفض الاعتقال الإداري كاعتقال تعسُّفي يجري فيه حجز المعتقلين دون تهمة بادِّعاء وجود ما يسمى "الملف السرِّي". كما تشابهت في كثير من الأحيان الإجراءات العنيفة بحق الأسرى في أكثر من تجربة استعمارية واستبدادية، سواء من حيث أدوات الضبط والرقابة، أو من حيث رفض الاعتراف بهؤلاء الأسرى كفاعلين سياسيين ومناضلين من أجل حرية شعوبهم وحقهم في الحرية وتقرير المصير.

هنا يولد السؤال حول المعرفة المتبادلة للعنف الاستعماري وأدواته القمعية العنيفة والناعمة، والمعرفة المتبادلة لمناضلي العالم رهن الاعتقال في المقاومة داخل الأسر: من يُعلِّم من؟ ففي محاولة الإجابة عن هذا السؤال يبرز الاستنتاج الأكيد بأن تناقل التجربة متبادل من فلسطين وإليها، وأن المستعمر الصهيوني قد جمع ومارس أسوأ ما مارسته السجون الفاشية والاستبدادية، وطوَّر أسوأ التقنيات القمعية ثم أعاد تصديرها للعالم. ولتوضيح ذلك، سنعرض فيما يلي التجربتين المغربية والأيرلندية.

3.3 التجربة المغربية

لقد اقترفت الأنظمة الاستبدادية ما بعد الاستعمارية ممارسات فاشية مشابهة للأنظمة الاستعمارية في قمع معارضيها. وكما أشار ديفيد هارفي إلى تجربة القمع الاستبدادي لبينوشيه سنة 1973 في تشيلي،[24] فقد أكَّد فرانز فانون في السياق ذاته على دور البرجوازية في تجربة الجزائر، ووصفها بالتواطؤ على الشعب مع جلاديه في مرحلة الكفاح الوطني.[25] وفي مواجهة الاحتجاجات ضدَّها استخدمت الأنظمة الاستبدادية العنف المتمثِّل بزجِّ المعارضين والمطالبين بالتحرر من قيود الاستبداد في السجون.

في كتابات عبد الرحيم الشيخ عن "سنوات الرصاص الفلسطينية"، ربط بين التجربة الفلسطينية والتجربة العالمية عموماً والعربية بشكل خاص في "سنوات الرصاص" أو "سنوات الجمر والرماد"

التي تقاطعت فيها مصائر حركات المقاومة للاستعمار المباشر أو وكلائه من السلطات الوطنية في أعقاب الاستقلال. هذا، ويشير الشيخ إلى نموذج المغرب الذي شهد مواجهة سياسية واجتماعية وثقافية عنيفة رافقت التحوُّل من حالة الاستعمار إلى ما بعده، شملت حالات الاختطاف والاعتقال السياسي والإخفاء لمناضلي الحركات الوطنية التي قاومت الاستعمار. ويشكِّل هذا الاستدعاء للتجربة العربية لسنوات الرصاص في فلسطين نبشاً "للحمولة المفهومية الثقيلة في وصف مصائر حركات التحرر" في العالم.[26]

شهدت المغرب، خلال ستينيات القرن العشرين، مرحلة تميَّزت بالديكتاتورية السياسية والقمع الفكري والاجتماعي تمثَّلت في وضع أول دستور يضمن سلطة مطلقة للملك سنة 1962، ما دفع العديد من الأحزاب السياسية في المغرب (وبالأخص اليسارية منها) إلى الدعوة إلى الإضرابات وتنظيم التظاهرات للمطالبة بالديمقراطية والعدالة الاجتماعية. وقد أدَّى ذلك إلى تصاعد القمع والملاحقة للطلاب والنقابيين والمثقفين اليساريين بممارسة سياسة الاعتقال والاختفاء القسري والإخفاء في السجون السرِّية باستخدام تهم جاهزة مثل "المساس بأمن الدولة."[27]

شاركت النساء في الحركات اليسارية الجذرية مثل منظمة "إلى الأمام" في هذه الإضرابات والتظاهرات، ومثلَّت هذه المرحلة بداية تشكُّل الوعي النسوي المغربي المناهض للاستبداد الوطني الذي تجسَّد في نشاط نساء مناضلات، مثل: لطيفة جبابدي، وسعيدة المنبهي، وربيعة الفتوح، وفاطمة عكاشة، وماريا زوينة، وفاطمة الدويج، وبودا نغية، ووداد بوعب، وماريا شرف... اللواتي التحقن بالمنظمات الماركسية التي نشأت في ظلِّ أزمة اقتصادية واجتماعية حادَّة وتفاقم الفقر واتساع الفجوة بين الطبقة العاملة والطبقة البرجوازية.[28]

وفي هذا السياق، برزت سعيدة المنبهي كأحد أبرز الوجوه النسائية المناضلة في المغرب، إذ كانت عضواً في منظمة "إلى الأمام" الماركسية، وانخرطت في الحركات الطلابية الاحتجاجية. كانت المنبهي ورفيقاتها يؤمنَّ بأن تحرر المرأة لا يمكن أن يتحقَّق إلا بتحقيق العدالة الاجتماعية للعمال والفلاحين، وذلك بسبب ارتباطهن بالفكر الماركسي اللينيني الذي ربط تحرر المرأة بالتحرر الطبقي والسياسي.[29] وقد اختطفت المنبهي في 16 كانون الثاني/ يناير 1976، وتعرَّضت للإخفاء القسري، ونُقلت إلى مركز التعذيب في الدار البيضاء حيث أمضت نحو 3 أشهر تحت التعذيب قبل أن تُحال

إلى المحاكمة. وخلال فترة اعتقالها شاركت المنبهي في عدَّة إضرابات عن الطعام كان آخرها في العام 1977 احتجاجاً على حرمان الأسيرات من صفة الأسيرات السياسيات، حيث طالبت بإنهاء عزل المعتقلين السياسيين ومن بينهم أبراهام السرفاتي، وربيعة فتوح، وفاطمة عكاشة، والمنبهي نفسها. وقد توفيت المنبهي بعد 40 يوماً من إضرابها عن الطعام في 11 كانون الأول/ ديسمبر 1977 في مستشفى ابن رشد في الدار البيضاء عن عمر يناهز الـ 25.[30]

سميت هذه الفترة في المغرب بـ"سنوات الرصاص"، ووثَّق خلالها عدد من الباحثين أن النساء المعتقلات في المغرب تعرضن لانتهاكات عديدة، إذ حرمن من ظروف صحية مناسبة، وتعرضن للتعرية والاغتصاب تحت تهديد السلاح.[31] وقد تبلورت نتيجة هذا العنف الممنهج ومقاومته تجربةُ السجن لدى النساء كمساحة لصياغة النضال الجماعي، وإعادة تعريف الوعي السياسي والجندري الذي ظهر من خلال السرديات الأدبية مثل تلك التي خلفتها المنبهي.

بعد إحدى زيارات والدة المنبهي لها داخل السجن نقلت عن ابنتها فهمها لربط نضالها داخل السجن بنضال شعبها ضدَّ الاضطهاد والقمع والاستبداد، حيث قالت: "إنني هنا يا أمي من أجل العيش الكريم لشعبي. إن معنوياتي عالية باستمرار. إن المستقبل لضحايا الاضطهاد الطبقي والاستبداد السياسي. إنني لا أخاف القمع لأنني أؤمن بقضيتي—قضية كل الجماهير."[32]

وعلى ذلك، تظهر تجربة السجينات في المغرب أن الفعل المقاوم، المتمثِّل بالإضراب عن الطعام، لم يكن فقط باستخدام الجسد كوسيلة للاحتجاج، بل هو امتداد للنضال السياسي والفكري والاجتماعي في حركة التحرر المغربية التي هدفت إلى مقاومة النظام الاستبدادي. وهو بذلك نضال جماعي يربط بين داخل السجن وخارجه دون شك. لم يقتصر التمرُّد والاحتجاج داخل السجون على الأنظمة الاستبدادية، بل شمل أيضاً القمع الذي واجهته حركات التحرر التي تناضل من أجل حقها في تقرير مصيرها.

4.3 التجربة الأيرلندية

خضعت فلسطين للانتداب البريطاني بين السنوات 1920–1948، حيث حوَّلت السلطات

الاستعمارية البريطانية فلسطين إلى واحدة من أهم القواعد العسكرية للإمبراطورية في الشرق الأوسط بعد مصر.[33] ومن هنا، لا يمكن فهم سياسات مكافحة التمرُّد "الإسرائيلية" ضدَّ الفلسطينيين بمعزل عن هذا السياق الاستعماري الأوسع، إذ إن هذه السياسات تشكَّلت ضمن فضاء عالمي تنتقل فيه تقنيات السيطرة والعنف عبر الزمان والمكان.

في هذا الإطار، شكّل القمع البريطاني للثورة الفلسطينية الكبرى 1936–1939 لحظة تأسيسية لما سيُعرف لاحقاً بالسياسات الأمنية "الإسرائيلية". فقد اعتمدت السلطات البريطانية آنذاك على أدوات مثل الاعتقالات الجماعية وهدم المنازل وإقامة المعسكرات. ولاحقاً، انتقل عدد من ضباط الشرطة البريطانيين الذين شاركوا في هذه الممارسات إلى مواقع مؤثرة داخل المشروع الصهيوني، حيث نقلوا معهم الخبرات والتقنيات التي طُوّرت خلال فترة الانتداب.[34] ولم يقتصر الأمر على فلسطين، إذ إن التقنيات الاستعمارية التي استُخدمت لقمع الثورات في أماكن مثل أيرلندا والبنغال وجنوب أفريقيا جرى اختبارها وتطويرها عبر مستعمرات بريطانية متعددة.[35] وبهذا المعنى، يمكن فهم الإمبراطورية البريطانية كفضاء تجريبي تُنتج فيه أدوات الضبط والسيطرة، ليُعاد لاحقاً تصديرها وتكييفها في سياقات استعمارية مختلفة.[36]

تُظهر الاحتجاجات والإضرابات عن الطعام عبر التاريخ وحول العالم تشابهاً ملحوظاً في دوافعها ورموزها. وقد ارتبطت هذه الأفعال الاحتجاجية غالباً برفض التصنيف الجنائي للمعتقلين السياسيين، إذ كان سلب صفة الأسير السياسي دافعاً مركزياً للاحتجاج، باعتباره وسيلة لاستعادة الاعتراف بالهوية السياسية للمعتقل ورفض اختزال نضاله إلى جريمة عادية. يعدُّ الإضراب عن الطعام فعلاً مرتبطاً بالهوية بامتياز، إذ عبر تجريم النضال السياسي وإلباسه ثوب "الإرهاب" أو "الجنائية"، تسعى القوى الإمبريالية والاستعمارية إلى نزع الشرعية عن الفعل السياسي ومحو رمزيَّته التحررية. غير أن ما يُعَدُّ "إرهاباً" في زمن ما قد يُعاد تأويله لاحقاً كفعل مقاوم بطولي، كما حدث مع أعضاء الجيش الجمهوري الأيرلندي الذين أصبح يُحتفى بهم كأبطال للتحرر الوطني.[37] وهذا يشابه تجربة الفلسطينيين في الاحتجاج داخل السجن، والتي كان من أول مطالبهم الاعتراف بهم كأسرى سياسيين وكجزء من حركة تحررهم الوطني.

خلفية الاحتجاجات

في تشرين الثاني 1975، أعلنت السلطات البريطانية عدم منح صفة الأسير السياسي لأيّ شخص يدان بارتكاب فعل يمسُّ أمن بريطانيا بعد 1 آذار/ مارس 1976. وقد شكَّل هذا القرار نقطة تحوُّل مركزية في سجون أيرلندا الشمالية حيث اعتبر هذا الإلغاء محاولة لنزع الشرعية عن نضال الأسرى الجمهوريين ضدَّ الاستعمار البريطاني، وإعادة تشكيل هويتهم النضالية قسراً عبر النظام العقابي نفسه.[38]

ومع بدء تنفيذ القرار سنة 1976، رفض السجناء الجمهوريون ارتداء زيّ السجن الذي فُرض عليهم معتبرين ذلك أداةً للهيمنة على أجسادهم ومحاولة للمساس بفعلهم المقاوم، وعبَّروا عن هذا الرفض من خلال لفِّ أجسادهم العارية بالبطانيات، وعُرف هذا الإضراب بـ"إضراب البطانيات". وفي آذار 1978 تعرَّض الأسرى لهجمات من حراس السجن أثناء ذهابهم للاستحمام، ورفض البعض مغادرة الزنازين للاستحمام احتجاجاً على هذا القمع، وتمَّ تزويدهم بأحواض صغيرة لغسل اليدين داخل الزنازين، لكن الأسرى رفضوا استخدامها ومن ثمَّ بدأوا بتلطيخ جدران زنازينهم بالبراز والبول بعد أن مُنعوا من استخدام المراحيض بشكل منتظم.[39] هذا، وانضمَّت الأسيرات في سجن أرماغ في العام 1980 إلى "إضراب الوسخ"، إلا أن هذا الشكل من الاحتجاج لم ينجح في كسب تعاطف واسع خارج السجن لأن القذارة نفسها لم تُقرأ اجتماعياً كفعل بطولي، ما دفع الأسرى الجمهوريين لتحويل أجسادهم إلى نصّ جديد للمقاومة عبر الإضراب عن الطعام.[40]

في 5 آذار/ مارس 1981 توفي بوبي ساندز بعد إضراب استمرَّ 66 يوماً، تلاه وفاة 9 أسرى آخرين في العام نفسه، إلى أن أُعلن عن إنهاء الإضراب في 3 تشرين الأول/ أكتوبر 1981 بعد أن استمر مدة 217 يوماً.[41] واعتبر آلان فيلدمان أنه في الإضراب عن الطعام أصبحت الأجساد نفسها أسلحة تخترق جدار السجن وتكشف عنف الدولة وسعيها لنزع إنسانية السجناء. وفي تحليلنا السابق لعدم اقتصار فهم دلالة الإضراب عن الطعام بمقاومة الجسد وحسب، فإن إضراب الأسرى الأيرلنديين عن الطعام حتى الموت من خلال طلب الاعتراف بهم كأسرى سياسيين، كان رسالة قوية لربط نضالهم داخل السجن كمعتقلين سياسيين مع نضال شعبهم من أجل حقه في تقرير مصيره.

إضراب الأسيرات الأيرلنديات

لم تحظَ المضربات عن الطعام من النساء الأيرلنديات مثل الشقيقتين دولورس وماريان برايس بالاهتمام ذاته الذي حظي به المضربون الأيرلنديون في السجون البريطانية، حيث إن عدم الاهتمام الكافي الذي يكتنف وضع الأسيرات الأيرلنديات يشابه الوضع الذي اكتنف الكتابة عن الأسيرات الفلسطينيات. ذلك أن معظم الكتابات كتبها رجال ركزوا فيها على تجاربهم، كما أن ذلك قد يعود إلى مشروع تاريخي مهيمن للسلطة الأبوية والنزعة الإنسانية الأكاديمية في الحفاظ على الامتيازات المصلحية لتقسيم غير متكافئ للعمل. فالمناضلات الأيرلنديات تحدَّين بشكل مضاعَف الأدوار الجندرية الأبوية التي سعى السجن السياسي إلى فرضها حيث تعتبر المعارضة تهديداً، والمعارضة النسائية تعتبر تهديداً أكبر لأنها تمثل رفضاً متجاوزاً للنظام الاستعماري والأبوي.[42]

على مدار 213 يوماً، تحمَّلت الشقيقتان برايس هذا العذاب، وفي 166 مرة (مرتان في اليوم أحياناً) أُدخلت الأنابيب بالقوة في حلوقهن. لقد كان رفضهن سلبيّاً لكنه مبدئي، إذ لم يفتحن أفواههن طواعية، لكنهن أيضاً لم يقاومن بعنف. وهذا الضبط كان متعمَّداً ونابعاً من تصوُّر ومبدأ أيرلندي جمهوري وهو الانضباط العسكري.[43]

في 1 شباط/ فبراير 1974، قررت الشقيقتان برايس التصعيد، فقاومت ماريان بعنف وجُرَّت من سريرها، مُقيَّدة ومكمَّمة، حتى أُدخل الأنبوب في حلقها. وفي وقت لاحق، اعترفت لأسرتها بأن التجربة تركتها منهارة، بشكل هستيري، لا فقط بفعل الألم، بل بفعل الإحساس بأنها اضطرَّت للتنازل عن كرامتها لمجرَّد أن تثبت أنها لم تخضع طوعاً. هنا، كانت المعضلة سياسية وجندرية في الآن نفسه. وفي رسائلها من السجن شبَّهت ماريان نفسها بمتطوِّع جمهوري أُعدم سنة 1942، حيث كتبت: "لم أكن لأجرؤ أن أضع نفسي في مقامه، لكن حين سار ويليامز إلى المشنقة لم يكن يعني أنه أراد الموت، بل إنه أظهر كرامته كإنسان ومتطوِّع. أمي ربَّتنا كفتيات أيرلنديات، ونحن نحاول أن نتصرف كذلك مهما كانت الظروف." في جملة واحدة، جمعت ماريان بين إرث الشهداء الجمهوريين وبين هوية "الشابة الأيرلندية المهذَّبة"، وهي عبارة مشبعة بأعباء المعايير الجندرية. شقيقتها دولورس أيضاً شعرت بضرورة التبرير حيث كتبت لأمها أن مقاومتها الجسدية "تخالف طبيعتها كامرأة ومتطوِّعة—أي، من الواضح أنهما خشيتا أن يُنظر إليهن كجبانات إن لم يقاومن وغير منضبطات إن قاومن التغذية القسرية."[44]

في هذا السياق، تقارن مقالة لاشلان والهن بين رسائل ماريان ورسائل نظيرها جيري كيلي في اللحظة ذاتها من الإضراب، وهنا تبرز الفوارق الجندرية أوضح. فكيلي، بعد اليوم الـ 58، قرَّر أن يحوِّل مقاومته من مقاومة سلبية إلى عنف مباشر، فعضَّ الأنبوب، وبصق الدم، وأغلق زنزانته بانتظار فريق التغذية القسرية ليقاتلهم. ظلَّ كيلي يروي لاحقاً أن الرعب لم يتراجع مع التكرار، لكنه لم يسجِّل انهياراً "هستيرياً" كالذي خافت الشقيقتان أن يُنسب إليهما. العنف كان بالنسبة له مقبولاً ومتوقعاً في ثقافة النضال الذكورية. أما بالنسبة للنساء، فالمعادلة كانت مختلفة وذلك لأن العنف قد يُفهم كخروج عن كرامة المرأة أو عن الانضباط العسكري، في حين أن الدموع أو الانهيار النفسي قد تُفسِّر كدليل على "هشاشة نسائية."[45]

إن لجوء كيلي المُستمر للعنف يشير إلى أن هذه الأساليب كانت متَّبعة ضمن أساليب المقاومة الذكورية للاحتجاج الجمهوري. أما بالنسبة للأخوات برايس، فكانت هذه الحركات أو المواقف نفسها ستُهدد فهمهن لذاتهن وصورة الحركة عنهن على حدٍّ سواء. وهنا يتبين أن الإضراب عن الطعام ليس فقط معركة مع سلطات السجن، بل هو أيضاً صراع لتحديد مصطلحات المقاومة الجندرية في النظام الجمهوري. وبذلك تتجلَّى المعضلة وفق والهن: في أن الرجال كانوا يملكون طيفاً أوسع من "المسموح" في المقاومة، بينما اضطرت النساء إلى المناورة بين وصمة "الهستيريا" ووصمة "الخضوع."[46]

بعد 213 يوماً أنهت الشقيقتان ورفاقهما الإضراب، وأفضت هذه التجربة إلى نقلهم إلى أيرلندا الشمالية حيث مُنحوا وضع السجناء السياسيين—المطلب الأساسي في الإضراب. ومنذ ذلك الحين، شكل نضالهن جزءاً من الأساس الذي استندت إليه إضرابات لاحقة.ومع إطلاق سراح ماريان برايس في العام 1980، كان فصل جديد من الاحتجاجات قد بدأ. ففي العام نفسه، دخل 7 رجال من كتلة الـ H-Blocks في إضراب عن الطعام لاستعادة صفتهم السياسية التي ألغتها بريطانيا سنة 1976. وبعد أسابيع قليلة، أعلنت نساء سجن أرماغ Armagh احتجاجاً موازياً. آنئذٍ، شدَّدت الصحافة الجمهورية على أن قرار الأسيرات بالإضراب لم يكن مجرَّد خطوة رمزية أو عمل تضامني مع الأسرى الرجال، بل كان تأكيداً على حقِّهن في الاعتراف بهن كأسيرات سياسيات. وقد كان هذا مؤشِّراً على بداية توسيع طيف "ما المسموح" في إطار مقاومة النساء.

ولذا، فإن القصة التي بدأت بإضراب دولورس وماريان برايس ليست قصة صمود أسيرات

بعينهن فحسب، بل هي أيضاً قصة إعادة تشكيل تدريجية للخطاب الجمهوري نفسه. لقد رفضت الشقيقتان أن تُختزل صورتهن في قوالب "النساء الهستيريَّات"، وأرست بذلك أساساً سمح لأجيال لاحقة أن تتكلَّم بصوت مسموع: أن تطالب بالاعتراف، وأن تُثبت حضورها في السجل التاريخي.[47]

سجن أرماغ[48] Armagh في أيرلندا الشمالية، والمخصَّص للنساء، احتجزت فيه الأسيرات السياسيات منذ سنة 1971، وفي سنة 1976 بلغ عددهن هنالك 236 أسيرة. في بداية الأمر، لم يكن هناك تصنيف سياسي، ولكن الأسيرات طالبن بذلك وحصلن عليه. ولكن في سنة 1975، سعت بريطانيا إلى تحويل الأسيرات السياسيات إلى سجينات جنائيات أو إضفاء صفة الجنائية على حالهن.

في العام 1977، قامت 5 نساء بإعلان إضراب ضدَّ العمل الإجباري في سجن أرماغ، وبعد عامين ارتفع العدد ليصبح 38 أسيرة. في هذه الأثناء واجهت الأسيرات ظروفاً قاسية منها العزل مدَّة 21 ساعة في اليوم داخل الزنزانة، وتقليل "الامتيازات" بما في ذلك حصر الزيارات للعائلات لزيارة شهرية واحدة. وفي سنة 1978، تعرَّضت الأسيرات لاعتداء مباشر من السجانين، أعقبه سنة 1980 منعهن من استخدام الحمام وإجبارهن على قضاء حاجتهن داخل الزنازين، ما دفعهن للاحتجاج الذي استمرَّ لأكثر من عام واحد، إلى حين انضمامهن إلى الإضراب عن الطعام الذي بادر به الأسرى الرجال في العام 1981.

ابتداءً من سنة 1982، اشتد البطش وفُرضت سياسة التفتيش العاري على جميع الأسيرات بمن فيهن القاصرات، والحوامل، والعائدات من المستشفى والجدَّات. كانت الأسيرات يُجبرن على خلع كامل ملابسهن لفحصها وتسجيلها، وحتى الفوط الصحية كانت تُفتّش قسراً، وأحياناً تُنزع الملابس بالقوة وسط تعليقات مهينة تطال أجسادهن وملابسهن. وقد شمل التفتيش الجسد كاملاً بما في ذلك الشعر، واليدين، والقدمين، والأعضاء التناسلية... بذريعة "الأمن."[49] وقد وصفت الأسيرة السابقة ليندا كويجلي الوضع حينها بالقول: "لا بدَّ أن يكون هناك تشابه بين ما نشعر به وما تشعر به ضحية الاغتصاب، فأجسادنا تُنتهك."[50] وهذا الأسلوب يشبه إلى حدٍّ كبير التفتيش العاري للأسيرات الفلسطينيات في السجون "الإسرائيلية" الذي يصفنه بأنه تفتيش يشمل كل الجسد العاري بما فيه الطلب منهن الإنحناء وهنّ عاريات، ويشمل كذلك تفتيش الفوط الصحية للأسيرات أثناء الدورة الشهرية.

في سنة 1986، نُقلت أسيرات سجن أرماغ إلى سجن ماغابيري Maghaberry، وهو من أشدِّ السجون حراسة في العالم.[51] في هذا السجن أصبح التفتيش العاري ممارسة روتينية تُفرض على الأسيرات بشكل مفاجئ ودون إمكانية التنبؤ بموعدها. وقد استُخدمت هذه السياسة لاستهداف جسد الأسيرة كأداة حرب وكوسيلة إذلال. ونتيجة لذلك، انطلقت حركات احتجاجية مثل حملة "Stop Strip-Searching in Armagh Jail" التي بدأت في العام 1984.[52] ومن المهم الإشارة إلى أنه حتى سنة 1992 سُجِّلت أكثر من 4,000 حالة تفتيش عارٍ لأسيرات أيرلنديات دون أن يثبت أيّ منها وجود تهديد أمني حقيقي. في إحدى الحالات، خضعت الأسيرة باولا كوين للتفتيش العاري فور عودتها من زيارة عائلية أُبلغت خلالها بوفاة شقيقها، وقد وصفت هذه التجربة بقصيدة كتبتها عن الإهانة المصحوبة بالتفتيش العاري.[53] وفي حالة أخرى تخصُّ جاكلين مور، التي أنجبت طفلة فترة أسرها عام 1984، تعرضت هي الأخرى إلى تفتيش عارٍ قبيل عرضها على المحكمة. لقد كان السجانون على دراية بأنها تنزف نتيجة للولادة وأن ثدييها يثرَّان الحليب، ومع ذلك لم يعفها وضعها الصحي من التفتيش بهذا الشكل.[54]

تمكَّنت السجَّانات من إجراء هذا التفتيش على عدد كبير من الأسيرات، وتركن بعضهن عاريات على الأرض بعد التفتيش المهين، بينما كان السجَّانون الذكور يضحكون ويغنّون ويتفرَّجون عليهن أثناء ذلك المشهد القاسي. وقد استمرَّت هذه العملية لمدة 12 ساعة، من الصباح حتى المساء، وأُغلق القسم بأكمله، ومنعت الأسيرات من التنقُّل أو مغادرة زنازينهن. وعلى الرغم من أن الطعام وُزِّع عليهن مرتين، فإن معظمهن كنَّ في حالة صدمة شديدة ولم يتمكَّن من الأكل.[55]

لقد تشابهت دوافع الأسيرات الأيرلنديات مع نظيراتهن الفلسطينيات في الاحتجاجات المختلفة إلى حدٍّ كبير سواء بالمطالبة بالاعتراف بهن كأسيرات سياسيات، أو برفض العمل الإجباري العبودي أو أيّ أعمال تمسُّ كرامتهن الوطنية، أو في الاحتجاج على الظروف العنيفة والقاسية في حياتهن اليومية، أو التفتيش العاري المهين. كما تشابهت أساليب القمع العنيفة المتمثِّلة بالضرب والتفتيش العاري واقتحام الغرف، وقمع الأسيرات، وعزلهن داخل زنازينهن... وغيرها من الأساليب القاسية. وقد شكَّلت مقاومة الأسيرات بكافة أشكال الاحتجاج، ومنها الإضراب عن الطعام، استجابة لوعي أيديولوجي واضح في مواجهة نظم استعمارية قائمة على العنف والهيمنة، كما يظهر أن القوى الاستعمارية أيضاً تتبادل خبراتها القمعية العنيفة في التعامل مع المناضلين

من أجل حريتهم وحرية شعوبهم.

في سنة 1980، قرَّرت أسيرات سجن أرماغ الانضمام إلى احتجاج الأسرى السياسيين الأيرلنديين الرجال الذي كان قد بدأ سنة 1978، والذي سُمِّي ب "احتجاج الوسخ"، والذي رفض فيه الأسرى الاستحمام أو استخدام المراحيض أو تبديل الملابس النظيفة، وبدلاً من ذلك عاشوا وسط الأوساخ، ولطَّخوا جدران الزنازين بالبراز. وإضافة إلى ما ذكر، قامت الأسيرات بتلطيخ الجدران بدم الدورة الشهرية والحيض، مضيفات بذلك بعداً جندرياً مهماً. وقد كان الدافع من وراء هذه الاحتجاجات مشتركاً للأسيرات والأسرى وهو نضالهم لأجل تصنيفهم كأسرى سياسيين، علماً أن الأسيرات، على وجه الخصوص، كنَّ قد قاومن تصنيفهن كمجرمات منذ العام 1976، وذلك من خلال رفض أداء الأعمال الإلزامية في السجن.[56]

لكن ما دفع النساء إلى بدء احتجاج الوسخ لم يكن الإذلال المرتبط باستخدام المراحيض، بل الاعتداء الذي نفَّذه ضبَّاط ذكور، وهو الثاني من نوعه، الذي تعرَّضت له الأسيرات الأيرلنديات، والذي أعقبه حبسهن في الزنازين لمدة يومين، بالإضافة إلى ما سبق وأن أشرنا إليه من قمع وتفتيش عارٍ عنيف وعزل. وقد واجهت إدارة السجن احتجاجهن هذا بسياسة التنظيف القسري، إذ أجبروا الأسيرات على الاستحمام بالقوة حتى تكدَّمت أجسادهن.[57] استمر إضراب الوسخ أكثر من سنة كاملة، وتبعه إضراب الأسيرات عن الطعام للانضمام إلى إضراب الأسرى في آذار من العام 1981 الذي استشهد فيه 10 أسرى أيرلنديين بينهم بوبي ساندز.

تقاطع التجربتين الفلسطينية والأيرلندية

وبناء على هذا الاستعراض البانورامي لمسار احتجاج الأسيرات الأيرلنديات، يتأكد تشابه تجربة النساء الفلسطينيات والأيرلنديات في دوافع عدد من الاحتجاجات وأشكالها: فكلتا التجربتين تشابهتا في المطلب الأساسي بالاعتراف بهن كأسيرات سياسيات، وفي الاحتجاج على الظروف السيئة للاعتقال وفي الإضراب عن العمل القسري الذي فرض عليهن من جهة. فيما تشابهت أساليب القمع ووسائله من ضرب وعزل وحرمان من الاحتياجات الأساسية كنساء (كالفوط الصحية للنساء أثناء الدورة الشهرية، ومواد النظافة والاستحمام) كما التفتيش العاري وعدم مراعاة النساء الحوامل... من جهة أخرى.

ومن سجن أرماغ وماغبيري إلى سجن "نفي ترتسا" و"تلموند/ هشارون" والدامون، مورست أساليب قمع مشابهة، ذلك أن الاستعمار البريطاني، الذي سبق وأن استعمر فلسطين كتهيئة لإقامة دولة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني، استخدم الأساليب ذاتها في القمع والقهر بحق الأيرلنديين، ونقل هذه الأساليب إلى "الإسرائيليين" الذين ورثوا هذه الممارسات، وطوَّروها، ومن ثم أخذوا بتصديرها إلى العالم من جديد.

تظهر التجربتان الفلسطينية والأيرلندية في الاحتجاج والإضراب عن الطعام كيف أن مقاومة الاحتلال والاستعمار لا تقتصر على المعاناة الجسدية، بل إنها تستند إلى وعي أيديولوجي وإرادة سياسية واضحة تشكِّل العمود الفقري لنضال التحرر، حيث تعيد التجارب النسائية في هذه الصراعات طرح موضوعات التحرر النسوي في سياق مقاومة أوسع تتداخل فيها مؤثِّرات الطبقة والنوع الاجتماعي والسياسة. وبذلك، فإن المقاومة هنا ليست مجرَّد رفض للاستعمار، بل هي ممارسة واعية لمقاومة نسوية تحررية، تجمع بين مطالب التحرر الوطني والاجتماعي حيث لا يمكن فصل المقاومة عن التحولات الاجتماعية التي تعيد بناء الأدوار الطبقية والنوع اجتماعية داخل المجتمعات المستعمرة والمضطهدة. ولا شك أن هذا يشكِّل الوعي السياسي الجمعي كأداة حاسمة في مواجهة الاستعمار وأساليبه القمعية العنيفة، واستنهاض حركة تحرير شاملة على أساس العدالة والحرية والكرامة، وتحدي الهياكل الاستعمارية القمعية.

في السياق الأيرلندي، عاشت السجينات في سجن أرماغ تجربة قاسية أثناء احتجاج الوسخ وإضرابات الجوع، حيث لم تكن مقاومتهن تقتصر على رفض القمع المادي، بل كان تحدياً مباشراً للنظام الاستعماري الرأسمالي الذكوري. وفي التجربة الفلسطينية لإضراب الأسيرات عن الطعام والعمل والإضراب السياسي وكافة أشكال الاحتجاج، لم يكن نضالهن مجرَّد تضحية جسدية، بل كان تعبيراً عن وعي سياسي وأيديولوجي عميق يدرك العلاقة بين الاحتلال والقمع الاجتماعي والاقتصادي.

تعتبر تجارب المقاومة في كل من فلسطين وأيرلندا من أكثر النماذج الاستعمارية تشابهاً، حيث يتشابك فيها النضال الوطني مع النضال الطبقي والنضال الاجتماعي من أجل مواجهة الهيمنة والاستعمار والاضطهاد، و"قد أعاد السجن إلى أذهان الجمهوريين وبشكل مكثف، تجربة الإهمال التاريخي والرغبة في نيل الاعتراف الاجتماعي وهي التجارب التي لطالما ميَّزت حياة الكاثوليك من

الطبقة العاملة في أيرلندا الشمالية."[58] كما تتطلب هاتان التجربتان قراءة المقاومة والنضال الوطني ضمن أفق أوسع يتجاوز الحرية السياسية، إلى نضال يسعى أيضاً إلى الحرية والكرامة والعدالة من خلال تحطيم أساسات وجذور الاستعمار القمعي. وفي هذا السياق، وتبعاً ل بيغونا أريتشاغا، "فإن المقاومة الوطنية تعيد تشكيل العلاقات الطبقية والنوع اجتماعية داخل المجتمعات المستعمَرة، وتتطلَّب وعياً سياسياً جماعياً قادراً على مواجهة الاستعمار ليس فقط على المستوى السياسي، بل أيضاً على المستوى الثقافي والاجتماعي."[59]

القسم الثاني: ممارسات احتجاجية
في السجون الصهيونية—العصيان، الإضراب عن العمل، الإضراب عن الطعام

4. الاحتجاج في تجربة الحركة الأسيرة الفلسطينية

تهدف الاحتجاجات داخل السجون من قبل الأسرى والأسيرات إلى تحدِّي علاقات الهيمنة والقوة، وإلى الحفاظ على الكرامة والسيطرة على إدارة شؤون الحياة على الرغم من البيئة القمعية داخل الأسر. وفي هذا السياق، تعتبر جولي نورمان أن الوصول إلى الإضراب عن الطعام تسبقه أعمال يومية من المقاومة أقل وضوحاً تلعب دوراً أساسياً في تنظيم الإضرابات عن الطعام، منها: المؤسسات البديلة لمؤسسة السجن التي يقوم الأسرى بإنشائها بشكل موازٍ، وتسمِّيها "هياكل الحكم غير الرسمية"، أو المؤسسات الثقافية والتعليمية الخاصة بالأسرى.[60] وهذا ما عمد الفلسطينيون إلى إنشائه عبر التثقيف والتعليم الرسمي وغير الرسمي داخل السجن.

يعتبر التعليم السياسي، من خلال مناقشات الأسرى حقوقهم وقضاياهم السياسية ونضالهم المشترك أو من خلال عدم التعاون مع سلطات السجن، تكتيكاً رئيسياً يتمثَّل برفض اتباع القواعد والأنظمة التي تفرضها إدارات السجون عليهم. وبذا، يسعى الأسرى إلى تقويض سلطة السجن وإيجاد هياكل موازية له.[61] تعتمد جولي نورمان في مقالها حول المقاومة اليومية للأسرى على نموذج جوهانسون وفينثاغن الذي يركز على المقاومة اليومية في السجن والتي ليست بالضرورة دراماتيكية أو مرئية،[62] ذلك أنها تلعب دوراً حاسماً في تحدِّي الهياكل السلطوية وفي تجاوز المساحة التي توفِّرها هذه المقاومة للحدود الزمانية الجغرافية، مع مبادرات إبداعية غالباً لا تكون مجرَّد ردود فعل بل تكون أفعالاً استباقية.[63]

يذهب هذا التحليل إلى وصف جزئي لأشكال الاحتجاجات داخل الأسر التي تعتبرها نورمان نتاج تراكمات يومية من المقاومة غير المرئية، وهذا صحيح نسبياً، إلا أن بعض الاحتجاجات تتشكَّل كاستجابة مباشرة لبعض الانتهاكات. لقد كانت بعض الإضرابات التي خاضتها الأسيرات والأسرى الفلسطينيون في السجون "الإسرائيلية"، مثل إضرابات الأعوام 1968 و1969 و1970 و1976، تمرُّداً واستجابةً فورية لانتهاكات تمثَّلت في سياسة الضرب والعزل وامتهان الكرامة الإنسانية من جانب، وممارسةً ثورية تظهر رفض الاستجابة لأوامر سلطات مصلحة السجون من جانب آخر. ففي تلك السنوات لم يكن قد تبلور بعد تنظيم جماعي للأسرى والأسيرات، بل سعت سلطات السجون إلى تفتيتهم وافتعال خلافات داخلية بينهم. لكن يبقى صحيحاً القول إن التنظيم الجماعي عبر المؤسسة البديلة التي أوجدها الأسرى والتي تطورت مع الممارسة كان له دور مهم في تطوير

أشكال الاحتجاج داخل السجن، وهذا ما سنلاحظه عند استعراض الاحتجاجات والإضرابات الجماعية عن الطعام في محطات مختلفة من الأسر.

وفي هذا السياق، ركَّزت أشجان عجور في مقالتها عن الإضراب عن الطعام وتسليح الجسد على مقاومة الجسد عبر رفض الطعام، واعتبرت أن المضربين عن الطعام حول العالم قد حوَّلوا أجسادهم إلى سلاح أساسي يُستخدم في مقاومة منظومة السجن وبنيته العميقة.[64] لكن ذلك يبقى وصفاً مجزوءاً بتركيزه على مقاومة الجسد فقط، ما يظهر نزع الصفة السياسية عن مدلول الإضراب، وتغييب دور التعبئة السياسية والتنظيمية التي تسبق أيّ شكل احتجاجي، كالإضراب عن الطعام، التي تضمن ديمومته واستمراره كأحد أشكال المواجهة.

أما ملكة شويخ، فتستعرض البعد الجنسي للإضراب عن الطعام في السجون "الإسرائيلية"، وتجادل بأن النساء المضربات عن الطعام يستخدمن أجسادهن كأداة مقاومة ضدَّ سلطة الاحتلال والمعايير المجتمعية الأبوية، بمعنى أن الأسيرات الفلسطينيات من خلال احتجاجاتهن يمارسن مقاومة مزدوجة ضدَّ السلطة الاستعمارية من جهة، والمجتمع الأبوي من جهة أخرى مسترجعات ملكيتهن لأجسادهن وحياتهن من كلا النظامين. وهذا لا يعني أنهن يحولن أجسادهن إلى أجساد ذكورية أو يفكّكن أنوثتهن لحماية أنفسهن باعتبارهن ضحايا ذوات أجساد هشَّة، بل تعتبره دافعاً يجعل التضحية بالنفس من خلال الاحتجاج على الظلم أفضل بكثير من تحمل السجن السياسي.[65]

تتفق شويخ ونورمان مع ما ناقشه فيلدمان حول أن الجسد قد أصبح موقع مقاومة من حيث العلامات والأداة، وذلك في توصيفه الاحتجاجات التي لجأ إليها الأسرى الجمهوريون في أيرلندا، سواء في "احتجاج البطَّانيات" أو "احتجاج الوسخ" في العام 1978 وصولاً إلى إضراب الجوع حتى الموت في العام 1981. هذا، ويرى فيلدمان أن احتجاج السجناء على ارتداء لباس السجن الذي فُرض عليهم هو احتجاج على الهيمنة على الجسد والمسِّ بالفعل المقاوم لديهم وأن ارتداء البطَّانية على الجسد العاري لم يكن مجرَّد تحدٍّ للنظام، بل إعادة تعريف الجسد كوسيط سياسي، ذلك أنه يعتبر أن الجسد قد تحوَّل إلى نصٍّ أخلاقي مرئي لا يمكن للدولة أو المجتمع تجاهله بعد موت 10 معتقلين نتيجة إضرابهم عن الطعام.[66]

من الملاحظ أن أولى الكتابات عن الإضراب عن الطعام وربطه بمقاومة الجسد استناداً لتنظير ميشيل فوكو قد تمَّت من قبل فيلدمان في العام 1991، وذلك في دراسته عن التجربة الأيرلندية في الإضراب عن الطعام. وفي مرحلة لاحقة تكثَّفت هذه الكتابات لتشمل التجربة الفلسطينية التي تناولها إسماعيل ناشف في دراسة واسعة حول بناء مجتمع الأسرى السياسيين حتى العام 1993. وقد اعتبر ناشف أن الإضراب عن الطعام يعبِّر عن تقنيات جسدية للمقاومة عبر الإزاحة، أي أن "السجن الاستعماري كمجال اجتماعي يتحدَّى باستمرار، ويشارك في عمليات هيكلة متعدِّدة. تُزعزع الشبكات التنظيمية للفهم التي يفرضها المستعمر،"[67] وأن الجسد والعلاقات الاجتماعية للأسرى يتمُّ هيكلتها من خلال ممارسات مستمرَّة تجمع بين الفردي والجماعي وبين الوعي واللاوعي، وبين المقاومة والتنظيم.[68]

في فترات لاحقة من أعوام 2014-2023 ركزت الدراسات الفلسطينية، مثل كتابات لينة ميعاري وملكة شويخ، على مقاومة الجسد في مدلول الاحتجاج والإضراب عن الطعام. وإن كنا نتَّفق على ما جاء في تلك الأدبيات حول أن مقاومة النساء داخل الأسر تشمل مقاومة الاستعمار والمنظومة الأبوية، إلا أن الاقتصار على ربط الاحتجاج المتمثِّل بالإضراب عن الطعام بمقاومة الجسد غير كافية وتبدو وكأنها مقاومة فردية ولا تعبر عمَّا هو أبعد من مقاومة الجسد. فالاحتجاجات بأشكالها المختلفة ترتكز إلى وعي طبقي لمقاومة أشكال الاستغلال والاضطهاد، على اعتبار أن الوعي هو انعكاس للواقع الموضوعي، وهو نتاج اجتماعي لوعي التناقضات لفهم الواقع والقوانين التي تتحكم فيه.[69] ولعلّ أولى هذه التناقضات هي السجن بما يمثِّله من أداة عنيفة للاستعمار ولمن يقف خلفه من قوى معادية من جانب، والأسرى الذين يستندون إلى وعي جماعي منظِّم ارتبط بالتحاقهم بحركات التحرر التي تسعى إلى تحرر وطني واجتماعي واقتصادي من القوى الاستعمارية من جانب آخر.

وكذلك فإن الأسرى والأسيرات يستندون إلى قناعة وإرادة تعبر عن رفض هذا الواقع بالاحتجاج والتمرُّد عليه عبر "النضال من أجل تغيير الشروط التي تجعل من استعباده أمراً ممكناً."[70] كما يسعى الأسرى والأسيرات إلى التأثير على حركة التضامن خارج الأسر من خلال تنظيم احتجاجات تضامنية عامة. وبذا، فإن هذه الإرادة هي إرادة وصمود واعٍ ونضال جماعي سياسي منظَّم ومؤثر، ويمتدُّ إلى حدود خارج السجن "من خلال [...] الارتباط المصيري بقوى التقدُّم والحرية والسلام في العالم."[71] وقد تطوَّرت أشكال هذا النضال بالممارسة النسوية التي تسعى إلى التحرر من المنظومة

القمعية المتمثلة بالاستعمار والنظام الأبوي، وقد جسَّدت العلاقة بين النضال داخل السجن وامتداده إلى خارجه "على اعتبار أن الحرية لا تتجزأ وأن الإنسانية هي الهوية التي تجمع الشعوب [...] في النضال لأجل مستقبل إنساني حقاً، مستقبل الاشتراكية والسلام."[72] وبلا شك أن هذا كله يتراكم للتأكيد على أن نضال الأسرى إنما هو جزء من المشروع النضالي التحرري الجماعي للشعب الفلسطيني، ولشعوب العالم.

ولتوضيح هذه المقولات على نحو عملي، سنعرض تالياً للجوانب المختلفة التي اكتنفت التنظير لفعل الاحتجاج من خلال الحواريات التي أجريت مع الأسيرات، أثناء إعداد الدراسة الموسَّعة، التي استُلَّ منها هذا البحث، ومن خلال مراجعة العديد من كتابات الأسرى بشكل عام، والقليل مما كتبته الأسيرات عن تجربتهن وبعد زمن طويل من تحررهن. وقد كانت أولى من كتبت تجربتها خلف القضبان هي الأسيرة عائشة عودة من خلال كتاب **أحلام بالحرية** (2007)،[73]، تبعه كتاب **ثمناً للشمس** (2012)،[74] حيث وثَّقت من خلالهما تجربة أسيرات البدايات، وأساليب التحقيق التي اتبعت معهن في حينه، وتفاصيل حياة الأسيرات داخل السجن، كما وثَّقت أول إضراب عن الطعام للأسيرات في العام 1969.

وفي سنوات لاحقة، بدأت بعض الأسيرات كتابة سيرهن الذاتية، مثل: نادية الخيَّاط ومي الغصين[75] في العام 2021، وسعاد غنيم[76] في العام 2022، وفريال سالم[77] التي وثَّقت تجربتها بعد رحيلها الكاتبة ابتسام أبو ميَّالة في العام 2023. وقد تبيَّن من خلال هذه الكتابات أن الاحتجاجات المختلفة داخل الأسر لها أسباب متعدِّدة، منها: القمع والضرب والتعذيب والإذلال وامتهان الكرامة والاستغلال والعزل والاعتقال التعسفي والمطالبة بالاعتراف بهن كأسيرات سياسيات، والمطالبة بفصلهن عن السجناء الجنائيين، وإصرار الأسيرات على الحرية الكاملة لهن جميعاً.

لقد مارست الأسيرات والأسرى أشكالاً متعدِّدة من الاحتجاجات تمثَّلت بالإضراب عن العمل، وتخريب المنتجات، والمطالبة بالتمثيل الاعتقالي، ورفض الوقوف على العدد، والاعتصام في الساحة أو داخل الغرف، وإرجاع وجبات الطعام وصولاً إلى الإضراب عن الطعام. وكل تلك الخطوات كانت تتطلَّب نقاشاً وقراراً جماعياً يضمن نجاح الاحتجاج في تحقيق مطالبه. وقد كان أحد مطالب الاحتجاج للأسرى في إضراب عسقلان في العام 1976 هو المطالبة بالتمثيل الاعتقالي

(أي اختيار ممثِّل ينطق باسمهم، ولجنة للحوار ممثِّلة عن كافة الأحزاب للمعتقلين المتواجدين داخل السجون). ونتيجة لتراكم هذه الممارسات النضالية، استطاع الأسرى والأسيرات خلال مقاومتهم داخل السجن فرض وجود إدارة اعتقالية جماعية تناقش وتقرِّر الخطوات الاحتجاجية، ولولا ذلك لأصبح نضالهم ومقاومتهم داخل الأسر مفكَّكاً ومبعثراً. ولا شك أن هذا كان يخيف إدارة السجون التي رضخت بعد نضالات عديدة للاعتراف بممثِّلين للأسرى والأسيرات، وذلك لأن التمثيل الاعتقالي واللجان المنظِّمة التي تعتمدها الحركة الفلسطينية الأسيرة تشكِّل تحدِّياً لإدارة السجون التي تسعى إلى فرض تعامل مباشر مع كل أسير، ما يسمح بحالة من الفوضى وعدم القدرة على تنظيم احتجاجات جماعية فعَّالة، وتحويل المعتقلين من مناضلين جماعيين إلى أفراد فاقدين للإرادة الجمعية. هذا، ويذكر أن إلغاء التمثيل للأسرى كان أول إجراء قمعي مارسته إدارة السجون الصهيونية بحق الأسيرات والأسرى الفلسطينيين بعد 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023.

تعتبر الاحتجاجات المتنوِّعة داخل السجن ممارسة نضالية لتحدِّي السجان، وللتأسيس لخطوات نضالية أكبر مثل الإضراب عن الطعام. كما رافقت غالبية الإضرابات عن الطعام وكافة أشكال الاحتجاج حركة تضامن جماهيرية واسعة عبر تنظيم الاعتصامات والمظاهرات الشعبية، وهذا ما لوحظ بشكل خاص في إضراب سجن نفحة في العام 1980، وإضراب الأسيرات عن العمل في الأعوام 1982-1984، والإضراب السياسي للأسرى في العام 1992، وإضراب الأسيرات في العام 1995. ولعل هذه الإحالات التاريخية تعزز الفهم المتداول حول أن الإضراب والاحتجاج داخل السجن له امتداد وتأثير إلى خارج السجن، وأن هذه الخطوات الاحتجاجية هي جزء من النضال ضدّ المشروع الاستعماري الاستيطاني برمّته.

5. الاحتجاجات التاريخية (1967-2026)

عند تناول تجربة الاحتجاج بأشكاله المختلفة داخل السجون "الإسرائيلية"، لا ينبغي إغفال أن الشعب الفلسطيني قد مارس العديد من أشكال النضال ضدَّ الوجود الاستعماري الاستيطاني لفلسطين، وأن نضالات والأسيرات والأسرى لا تنفصل عن المشروع التحرري الأكبر على مستوى حركة التحرر الوطني الفلسطيني.

لقد خاض الأسرى الفلسطينيون أول إضراب جماعي عن الطعام في العام 1968 في سجن الرملة تحت شعار "الحماية من الضرب"، حيث كان الأسرى يتعرَّضون للضرب والتنكيل يومياً، وكان يتمُّ إجبارهم على الردِّ بعبارة "حاضر سيدي" على السجان بهدف إذلالهم. استمر هذا الإضراب 4 أيام، وأنهت آخر مجموعة إضرابها بعد 11 يوماً، وتكلل هذا الإضراب بالانتصار والتوقُّف عن حفلات الضرب.[78] ومن ثم تبعه إضراب سجن بيت ليد في كانون الثاني 1969 احتجاجاً على سوء المعاملة، واستمر الإضراب 7 أيام.[79] وقد اتَّسمت هذه المرحلة بالعنف والإذلال الوحشيين اللذين أدَّيا إلى إلحاق أضرار جسدية ونفسية بالغة الخطورة بالأسرى جرَّاء ممارسة التعذيب القاسي، وبشكل خاص أثناء التحقيق.[80]

في سنة 1970 استشهد الأسير عبد القادر أبو الفحم[81] بعد إضراب خاضه أسرى سجن عسقلان تحت شعار "تحسين الظروف وإنهاء سياسة العزل"، حيث كانت الظروف الحياتية داخل السجن تفتقر إلى أدنى مقوِّمات الحياة الإنسانية من حيث سوء الطعام، وافتقار الغرف المكتظة للتهوية، وقضاء الحاجة عن طريق استخدام جردل يتمُّ إفراغه في ساعات محدَّدة يومياً، والإهمال الطبي، ومعاقبة الأسرى وعزلهم في زنازين صغيرة.[82] وقد كان أبو الفحم أول أسير فلسطيني يستشهد بسبب الإضراب عن الطعام حينما أصرَّ على المشاركة في الإضراب على الرغم من إصابته بجروح أثناء الاعتقال.

في العام 1973، شهد سجن عسقلان إضراباً طويلاً عن العمل تحت شعار "حرية الامتناع عن العمل الإجباري" استمر لمدة 9 أشهر احتجاجاً على عمل السخرة والعبودية، إضافة إلى استخدام الإدارة سياسة العمل لتفتيت وحدة الأسرى وإجبارهم على العمل في أعمال تمس كرامتهم الوطنية، نحو: نسج شباك الدبابات، وبناء وصيانة السجون التي يُحتجزون فيها هم ورفاقهم.[83] هذا، وسنأتي على

إضراب الأسيرات والأسرى عن العمل الإجباري داخل السجون وتكتيكهم بتخريب المنتجات كنوع من الاحتجاج داخل السجن لاحقاً.

وفي مرحلة تالية، جاء إضراب عسقلان التاريخي في 11 كانون الأول 1976،[84] في ظروف من التفتُّت الذي عاشه الأسرى بفعل سياسة مصلحة السجون الصهيونية التي عملت على ضرب وحدتهم الداخلية عبر سياسة الإغراء بمميزات العمل داخل السجن، وتعزيز الشللية، وتوهين القواعد الأساسية لتصنيفهم كمناضلين من أجل الحرية، وإفشال التمثيل الجماعي للأسرى، وإلزامهم بالتقيُّد بعبارة "قل أنا وليس نحن" في محاولة من إدارة السجون لتعزيز فردية المعتقل وفصله عن محيطه الجماعي. وهو الأمر الذي كان ولا يزال يعتبر جزءاً أساسياً من مقوِّمات النضال المنظَّم داخل الأسر.[85] وقد كانت هذه العبارة إحدى الأدوات التي استخدمتها السجون لمواجهة نضال الأسرى ومقاومتهم الجماعية في الأسر، وفصلهم عمَّا يمثلونه من نضال تحرري جماعي لشعبهم. كما عمدت إدارة السجون إلى ضرب الثقة بين الأسرى عبر بثِّ الدعايات والإشاعات في إطار سياسة ممنهجة من الإفراغ السياسي لمضمون نضالهم.

وقد ترافق ذلك كلُّه مع ظروف حياتية قاسية ومتدنية الجودة للأسرى ورفض الاستجابة لمطالبهم الحيوية. ولذا، جاء الإضراب في ظلِّ توقيت لم تتوقَّعه إدارة مصلحة السجون، بل فوجئت به اعتقاداً منها أن سياستها في تفتيت التمثيل السياسي وتعزيز المظاهر الفردية والأنانية لكل أسير على حدة قد نجحت. استمر الإضراب لمدة 45 يوماً، وجرى تمديده 19 يوماً في شهر شباط 1977.[86] وبالفعل يمكن اعتبار هذا الإضراب محطة تاريخية من ناحية إفشال محاولات إدارة السجون تفتيت الوحدة الجماعية للأسرى والعمل على تعزيز انقساماتهم الداخلية بهدف منع أيّ نضال جماعي منظَّم، كما أنه عبَّر عن نضوج تجربة الأسرى داخل السجون—التجربة التي تطوَّرت بالممارسة الجماعية لأشكال النضال، ووضعت حجر الأساس للنضال الاعتقالي الشامل المبني على أسس اعتقالية اتَّسمت بالدقة والانضباط الجماعي في حين رافقت هذا الإضراب موجة احتجاجات جماهيرية داعمة من خارج السجون.[87]

في 2 أيار 1980 تمَّ افتتاح سجن نفحة الصحراوي، وأشرف على بنائه مهندسون من إدارة مصلحة السجون، ومهندسون من معهد التخنيون في حيفا، وخُصِّص كمكان لعزل الأسرى القياديين ممن

وصفتهم مصلحة السجون بـ"الرؤوس الحامية" عقب إضراب سجن عسقلان في العام 1976. وقد وصف الأسرى هذا السجن الفظيع، الذي كان يحتوي على زنازين صغيرة، بأنه كان عبارة عن علبة محكمة الإغلاق في الصحراء، تحيطها الكلاب الشرسة، والأسوار العالية، وتحكمه معاملة قاسية من السجانين. كانت الفورة (الخروج من الغرف إلى ساحة السجن) لا تزيد عن نصف ساعة مرّتين في اليوم، وكل غرفة على حدة، وكان شعار إدارة السجن في معاملة الأسرى: "هنا نفحة، نفحة شيء آخر، ممنوع كل شيء، حتى الهواء ممنوع."[88] وإثر ذلك، وبتاريخ 14 تموز 1980، بدأ الأسرى في سجن نفحة إضراباً عن الطعام استمر لمدة 33 يوماً، استشهد فيه المناضلان راسم حلاوة وعلي الجعفري. لاحقاً، وبسبب تأثيرات الإضراب ارتقى الشهيد إسحق مراغة في العام 1983 نتيجة التغذية القسرية.[89] شارك الأسرى والأسيرات في كافة السجون في إضراب نفحة، وخاصة بعد استشهاد المناضلين حلاوة والجعفري.[90] كما استشهد الأسير أنيس دولة في سجن عسقلان بعد مشاركته في الإضراب عن الطعام.[91] هذا، ويمثّل افتتاح سجن نفحة وتصميمه طوراً جديداً من العقلية الفاشية للقمع التي دأبت على ابتداع أشكال مختلفة من العنف الذي يعتبر سمة من سمات المنظومة السجنية للاستعمار والاستعمار الاستيطاني تاريخياً.

شاركت الأسيرات بإضراب عن الطعام استمر 4 أيام تزامناً مع إضراب سجن نفحة، ولكن للأسف تمَّ تغييب مشاركة الأسيرات في هذا الإضراب في أغلب الكتابات التي تناولت تاريخ الإضراب عن الطعام إلى أن كشفت عنه الحواريات التي رافقت إعداد هذا البحث من قبل الأسيرات كما أشارت له الأسيرة السابقة ناديا الخياط في كتابها **احترقت لتضيء** (2021).[92]

إن مواجهة الإضراب عن الطعام العنيف المتمثِّل بالتغذية القسرية من قبل إدارة السجون في إضراب سجن نفحة، والتي أدَّت إلى استشهاد حلاوة والجعفري ولاحقاً مراغة، لا تشمل بعداً جسدياً عنيفاً فحسب، بل إن أنبوب التغذية القسرية الذي يُدخَل بعنف في جسد المضرب عن الطعام يمثِّل سلاح الاستعمار في إعادة إخضاع الجسد المتمرِّد، ويتضمن وظيفة نفسية تهدف إلى كسر إرادة الأسير المضرب عن الطعام ومنعه من الاستمرار في إضرابه. إن هذا الأسلوب، غير المجدي في نتائجه، يفضح العنف الاستعماري ويؤكِّد على استعداد المناضلين لتحمُّل الألم العنيف، ويجسِّد إيمان الأسرى العميق بعدالة قضيتهم، ويؤدِّي إلى تعاطف واسع للرأي العام معهم. ومن الجدير بالذكر أنه في العام 1975، أعلنت الجمعية الطبية العالمية The World Medical Association

عن أن التغذية القسرية هي إجراء "غير أخلاقي."[93]

لقد شهد إضراب نفحة حملة تضامن شعبية واسعة، حيث اعتصمت أمهات الأسرى وعائلاتهم والمتضامنون في مقر الصليب الأحمر في القدس، وأعلن عدد منهم الإضراب عن الطعام للتضامن مع الأسرى في سجن نفحة. كما رافق ذلك حملة تضامن عالمية كشفت عن فظاعة الاحتلال في التعامل مع الأسرى، ما يؤكِّد امتداد نضال الأسرى داخل السجون إلى خارجه كجزء من النضال التحرري للفلسطينيين كشعب تحت الاحتلال يسعى إلى الحرية وتقرير المصير.

هذا، ويعتبر الأسرى الفلسطينيون أن محطة إضراب عسقلان ونفحة شكَّلت منعطفاً مهماً لتطوُّر التنظيم الجماعي للحركة الفلسطينية الأسيرة المتمثِّلة بالاعتراف بالتمثيل الاعتقالي من قبل مصلحة السجون الصهيونية. وهو الأمر الذي كان ولا يزال يعتبر تنظيماً ديمقراطياً لإرادة الأسرى والأسيرات من خلال آلية الاختيار الجماعية في مواجهة محاولات إدارة السجون نزع الروح الجماعية وتحويلها إلى قرار ذاتي بحتاً عن الخلاص الفردي. لقد بنى الأسرى إرادتهم الجماعية بممارسة ارتبطت بتطوير أشكال نضالهم ضمن الظرف الملموس، والتعبير عنه بتمثيل جماعي لإرادتهم في تلك المرحلة. كما تلا ذلك عدد من الإضرابات الجماعية التي أدَّت إلى استشهاد أسرى فلسطينيين، إذ استشهد الأسير محمود فريتخ في سنة 1992 إثر إضراب سجن جنيد، والأسير حسين نمر عبيدات الذي استشهد في شهر تشرين الأول من العام 1992 إثر إضراب سجن عسقلان.[94] وقد استمرت نضالات الأسيرات والأسرى واحتجاجاتهم داخل السجون، سواء المطلبية أو السياسية أو الرافضة لعبودية العمل في حينه، وبأشكال مختلفة عززتها الخبرة والتجربة الملموسة التي تطورت في مراحل لاحقة.

1.5 الإضراب عن العمل

لم تقتصر احتجاجات الأسرى والأسيرات على الرفض والتمرُّد على ظروف الاعتقال القاسية، ولا لأجل الاعتراف بهم كأسرى سياسيين، بل شملت أيضاً إضرابهم عن العمل الإجباري في منشآت السجن، التي كانت تهدف إلى مزيد من الإذلال عن طريق نوع العمل الإجباري المصمَّم لخدمة المنشآت العسكرية من جانب، وإلى استغلالهم كأيدي عاملة رخيصة للشركات "الإسرائيلية" الخاصة بغية زيادة أرباحها من جانب آخر.

شهدت السجون الصهيونية إجبار الأسرى الفلسطينيين على العمل الإنتاجي لصالح شركات استثمارية من خارج السجن، مثل: تركيب براغي للأجهزة الكهربائية، وصناعة الكرتون والورق والنايلون، وصناعة المغلَّفات، وخياطة الملابس، وتركيب أجهزة كهربائية كالمكاوي، والحدادة، وتجليد الكتب.. إلى آخره. وقد كان ذلك كلُّه بأجر زهيد وساعات عمل طويلة وظروف غير ملائمة للعمل من حيث الإضاءة والتهوية، وغياب إجراءات السلامة. كما شملت هذه السياسة تشغيل الأسرى في أعمال إنتاجية لصالح المنشآت العسكرية ومصلحة السجون، والطبخ للسجانين، الأمر الذي عارضه الأسرى من خلال الإضراب ومن خلال تخريب المنتوجات، وتعرضوا نتيجة لذلك للضرب والقمع والإذلال. وقد وصف منقذ أبو عطوان إجبار الأسرى على العمل بأنه إعادة إحياء للعبودية وتجسيد لها في جموع الأسرى عبر تشغيلهم بالسخرة لمصلحة الشركات الحكومية والشركات الصهيونية الخاصة.[95]

في العام 1976 قام الأسرى بتخريب المنتجات وحرق مرافق العمل الإنتاجي المفروض عليهم بالسخرة كأحد أشكال الاحتجاج، وقوبل ذلك بالقمع واستخدام الغاز من قبل السجانين ما أدى الى استشهاد الأسير عمر شلبي نتيجة الضرب العنيف والغاز وذلك إثر محاولته تدمير مخزن ورشة تجميع المكاوي.[96] كما شكَّل إضراب الأسيرات عن العمل في الفترة بين 1983-1984 محطة هامة في نضالهن. وشهد الإضراب عن العمل الإجباري قمعاً عنيفاً للأسيرات ردّاً على الخطوات الاحتجاجية التي قمن بها في سجن "نفي ترتسا"، ما ساهم في اندلاع حركة واسعة من الاحتجاجات التضامنية معهن خارج السجن.

لقد كان موضوع العمل الإجباري داخل السجون مثار اختلاف في وجهات نظر الأسرى بين من يؤيِّد العمل الإنتاجي الإجباري ومن يعارضه، فاستغلت إدارة السجون هذا الشرخ في تعزيز التناقضات الداخلية وإعطاء امتيازات تتعلَّق بالطعام والغرف لمن يقبلون بالعمل الإجباري،[97] إلى أن توقَّف هذا النوع من العمل لدى الأسرى بعد العديد من الخطوات الاحتجاجية في العام 1979،[98] ولدى الأسيرات في العام [99]1983، فيما توقَّف العمل الاختياري للأسيرات في العام 1988.[100]

2.5 المتغيرات السياسية وحالة المدِّ والجزر

لا يمكن إغفال حالة المدّ والجزر التي عايشها الأسرى في السجون وذلك ارتباطاً بالمتغيرات السياسية الخارجية من جهة، وعمليات تبادل الأسرى وخروج أعداد كبيرة من الأسيرات والأسرى الذين امتلكوا تجربة الاعتقال وطوَّروا فيها أدوات المواجهة من جهة أخرى. فقد أثَّرت الأحداث السياسية (سواء الاتفاقيات السياسية أو الحروب "الإسرائيلية")، وتحرر العديد من الأسيرات والأسرى الذين امتلكوا التجربة وطوَّروا فيها أدوات مواجهة السجان (من خلال صفقات التبادل)... بشكل واضح على مسيرة الحركة الفلسطينية الأسيرة التي عاشت حالة من الجزر اضطرَّتها للبدء في مراكمة التجربة من جديد. أما حالة المدِّ داخل السجون، فقد ارتبطت أيضاً بحالة المدِّ الخارجي وبشكل خاص إبّان الانتفاضة الشعبية (انتفاضة الحجارة) في العام 1987 أو الانتفاضة الثانية (انتفاضة الأقصى) في العام 2000، والتي رافقها دخول أعداد كبيرة من الأسيرات والأسرى إلى السجون.

وفي هذا السياق، شهدت السجون حالة من الإحباط سنة 1979 بعد زيارة الرئيس المصري أنور السادات للكيان الصهيوني وتوقيعه اتفاقية كامب ديفيد في سنة 1979—السنة التي سبقت إضراب نفحة في العام 1980. وقد اعتبر الأسرى أن حالة المدِّ التي سبقت توقيع الاتفاقية قد تراجعت، وأن بعض الأسرى الفلسطينيين بعثوا رسالة إلى السادات يطالبونه بالإفراج عنهم.[101] وقد شهد العام 1979 تبادلاً شمل غالبية الأسيرات المعتقلات منذ سنة 1967.[102] كما كان للحرب "الإسرائيلية" على لبنان سنة 1982 تأثيراً على وضع الأسيرات والأسرى داخل السجون، إذ واجه الأسرى حملة عنف قمعية من قبل إدارة السجون. كما عاش الأسرى حالة من الجزر بعد تبادل الأسرى في العام 1985، إذ تمَّ إطلاق سراح 1155 أسيراً من القدماء من ذوي الخبرة وكان من بينهم 65 أسيراً لبنانياً في معتقل أنصار في جنوب لبنان، و11 أسيرة فلسطينية.[103]

عادت حالة المدِّ والنهوض لدى الحركة الفلسطينية الأسيرة بعد العام 1987 مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية ودخول أعداد كبيرة من الأسيرات والأسرى إلى السجون. بلغ عدد الأسرى في العام 1992 حوالي 13 ألفاً، وخاضوا إضراباً عن الطعام عرف بـ"بركان أيلول."[104] استمر وضع الأسرى في حالة النهوض حتى سنة 1993، حين تمَّ فيه توقيع اتفاقية أوسلو التي شملت إفراجات عن عدد من الأسرى وجميع الأسيرات في العام 1997، وأدخلت من تبقى من الأسرى في دوامة جديدة وحالة من التراجع.[105] وقد أُعيد تمتين الوضع الداخلي للأسرى في العام 2000 مع اندلاع انتفاضة الأقصى.[106]

في العام 2004 خاض الأسرى إضراباً عن الطعام فشل للأسف في تحقيق أهدافه، وتعرَّض الأسرى لعملية قمع عنيفة من قبل سلطات السجون الصهيونية. ومن الأسباب التي أدَّت إلى فشل هذا الإضراب هو التغيُّر الكبير الذي طرأ على الحركة الفلسطينية الأسيرة من خلال بعض النجاحات التي حققتها إدارة مصلحة السجون في تفتيت الوحدة الداخلية للأسرى وتعزيز نمو مصالح فردية خاصة لبعض الأسرى المتنفِّذين، وتحويلهم إلى أدوات رقابة داخلية ومراكز قوى تحرِّكها المصلحة الفردية، ما أدى إلى نجاح "صهر الوعي"، الموضوع الذي كتب فيه الأسير الشهيد وليد دقة دراسته واسعة الانتشار .[107]

وفي هذا السياق من المدِّ والجزر، تأثرت أوضاع الأسرى داخل السجون بما يحصل على الصعيد السياسي خارجه، إذ: في مرحلة النهوض الوطني شهدت السجون حالة نهضة في التنظيم والنضال الجماعي؛ وفي حالة التراجع الوطني انعكس ذلك على وضعهم وفُتِّت وحدتهم وجماعيَّتهم عبر تعزيز القيم الفردية والذاتية، ما صعَّب نجاح أفعال الاحتجاج والإضراب التي تحوَّلت إلى مطالب جزئية لم تشمل جميع الأسرى والأسيرات من كافة التنظيمات. ففي العام 2011 خاض أسرى الجبهة الشعبية والجهاد الإسلامي إضراباً ضدَّ استمرار سياسة الاعتقال الإداري، واستمر الإضراب لمدة 22 يوماً. وفي العام 2012 خاض 1600 أسير فلسطيني إضراباً ضدَّ سياسة العزل لكنه لم يشمل كافة الأسرى.[108] وفي 17 نيسان 2017 بدأ 1500 أسير من أسرى فتح إضراباً عن الطعام، وانضمَّ لهم لاحقاً أكثر من 100 أسير من التنظيمات الفلسطينية داخل السجون، واستمر الإضراب لمدة 40 يوماً تحت شعار "الحرية والكرامة"، لكنه لم يحقق أهدافه، إذ عملت السلطة الفلسطينية على إفشاله من خلال مجموعة من أسرى فتح الذين رفضوا المشاركة في هذا الإضراب بحجة أن مرجعية قيادة الإضراب كانت تتمثَّل بالمناضل مروان البرغوثي.[109]

واستمراراً في هذا النمط من النضال الاحتجاجي، خاض عدد من الأسرى والأسيرات إضرابات فردية ضدَّ سياسة الاعتقال الإداري نجح بعضها في تحقيق الأهداف وفشل البعض الآخر. وكان آخر إضراب جماعي دعت له الحركة الأسيرة في آذار 2023 ضدَّ سياسات وزير الأمن الداخلي "الإسرائيلي" إيتمار بن غفير التي سعت للانقضاض على منجزات الأسرى التي تمَّ تحقيقها في الاحتجاجات السابقة. وقد سبق الإعلان عن هذا الإضراب حالة من العصيان في السجون استمرت لمدة 36 يوماً، تمثَّلت في: الطرق على الأبواب، والإرباك الليلي بهتاف واحد "حرية"، وإرجاع وجبات طعام، وعرقلة

الفحص الأمني. وقد توِّجت هذه الحالة بإعلان قيادة الإضراب المشكَّلة من قيادات من كافة التنظيمات الفلسطينية البدء في الإضراب عن الطعام برسالة وجَّهوها إلى الرأي العام، جاء فيها: "بعد أن وجدنا أنفسنا وحيدين في مواجهة الموت والنسيان، نصارع المستحيل ونحن أسرى، نُحاصر حتى النهاية، بين فكَّي كماشة الإهمال وأنياب بن غفير الاستعمارية، قرَّرنا بملء الإرادات المؤمنة المنبثقة من رحم وعينا التحرري والإنساني، بعد التوكُّل على الله وإرادة شعبنا الحي، أن ننطلق سهاماً من على أوتار أرواحنا المتمرِّدة، فإما حرية حمراء مخضَّبة بالجوع والكرامة، وإما انتصار أكيد على الذات، والدنيا معاً."[110] وقد استمر الإضراب ليوم واحد من قبل قيادة الإضراب التي جرى عزلها جميعاً، وأُعلن في المساء التوصُّل لاتفاق يحقِّق مطالب الأسرى وينهي الإضراب قبل أن يبدأ. وقد أدى تراجع الحالة الوطنية العامة، وتراجع وضع الحركة الأسيرة، إلى إضعاف القدرة على تنظيم خطوات احتجاجية تراكمية وجماعية بعدئذٍ، ناهيك عن الزلزال الكبير الذي ألمَّ بالحركة الفلسطينية الأسيرة التي تعرَّضت ولا تزال إلى "إبادة غير مرئية"، على حدَّ تعبير أماني سراحنة، بعد بدء حرب الإبادة على غزة في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2023.[111]

3.5 احتجاجات الأسيرات الفلسطينيات كممارسة نسوية تحررية

إن الإضراب الجماعي داخل الأسر هو مقاومة جماعية للأسرى والأسيرات في مواجهة آلة القمع الاستعمارية التي تحاول نزع إنسانية الإنسان. وهي تقوم بذلك من خلال عزل الأسرى وإخضاعهم للرقابة بكافة أشكالها وإنتاج الجسم الانضباطي، لغرض الإخضاع والهيمنة، بدءاً من ممارسات السجانين والسجانات القمعية، ومروراً بالحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية، وانتهاءً بفرض الرقابة والإخضاع والهيمنة. يساعد في ذلك التصميم المعماري للسجن بحسب وصف فوكو "بحيث يقوم برج في الوسط والزنزانات حوله، تكون مكشوفة ومرئية من قبل الحرَّاس المراقِبين في البرج في حين لا يمكن للمساجين أن يروهم."[112] يشبه هذا إلى حدٍّ بعيد غالبية تصاميم السجون "الإسرائيلية" التي ورثتها عن الاستعمار البريطاني التي تحاول هندسة الأسيرات والأسرى وإخضاعهم.[113]

يعتبر الاحتجاج والإضراب عن الطعام داخل السجن تجسيداً للصراع بين إرادتين: إرادة المستعمر الفاشية، وإرادة المستعمَر التحررية. وهذا الصراع هو القانون العام الذي يحكم علاقة السجين بالسجن، فخلف القضبان يجري صراع عنيف بين السجن (الذي يشكِّل أحد أدوات القوى

الاستعمارية الرأسمالية الإمبريالية) والسجين (الذي يتسلَّح ببرنامج الصمود).[114]

هذا، ويعتبر الإضراب عن الطعام أعلى درجات الاحتجاج والتضحية بالنفس التي يمارسها الأسرى والأسيرات ليس في فلسطين وحسب، بل وفي كافة أرجاء العالم. كما يساهم الإضراب عن الطعام في تفعيل التضامن الخارجي من خلال المظاهرات والاعتصامات وحتى الإضراب عن الطعام من قبل العائلات والمتضامنين في إطار الفعاليات التي تُنظَّم تضامناً معهم. كما وتساهم بالربط الدائم لقضية الأسيرات والأسرى داخل السجون في نضال شعبهم من أجل الحرية، وإنهاء الاستعمار، والاحتلال، والاستبداد. والإضراب، بذلك، تعبير عن إرادة جمعية لنضال واعٍ تطوَّر بالممارسة العملية الموجَّهة لخدمة الهدف الجمعي بالتحرر والحرية وتقرير المصير.

في وصفنا للنسوية بأنها فعل وممارسة تحررية (الموضوع الذي نتتبَّعه من خلال إضرابات الأسيرات عن الطعام، والعمل، والإضراب السياسي، وكافة أشكال الاحتجاج التي خاضتها الأسيرات في السجون "الإسرائيلية")، سنرى كيف جسَّدت الأسيرات رؤيتهن للنسوية التي لم تقتصر على الوعي والفهم النظري بل تعدَّته إلى ممارسات عملية شملت مقاومتهن للاحتلال والاستغلال والاضطهاد. وقد استلهمن في ذلك تجارب مناضلات على امتداد العالم، عربية وغربية، في مواجهتهن المنظومة العالمية الاستعمارية من جهة، ومن تجربتهن الملموسة في النضال ومقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين المحتلة من جهة أخرى. وقد عرف التاريخ الإنساني الكثير من التجارب التي تمرَّد فيها الأسرى على هذا الواقع من خلال أشكال متعدِّدة من الرفض، وكان منها الإضراب عن الطعام كأحد أشكال المقاومة في وجه السجانين، وفي مواجهة المنظومة الاستعمارية التي يمثلها. وهذا ما سنحاول عرضه من خلال استعراض تجربة الأسيرات الفلسطينيات والعربيات والعالميات في الإضراب عن الطعام ومختلف أشكال الاحتجاج داخل السجن.

الإضراب عن الطعام للنساء الأسيرات، كما تصوره ملكة شويخ، هو تعبير عن مشاركة فعَّالة باستخدام الجسد كأداة مقاومة ضدَّ الاحتلال الصهيوني وضدَّ المعايير المجتمعية الأبوية.[115] وبما أن عدد الأسيرات أقل (بفارق كبير) مقارنة بالأسرى الرجال بشكل عام في السجون الصهيونية، فقد كان ذلك مما يعتبره بعض الباحثين في الحركة الفلسطينية الأسيرة السبب في غياب التركيز على تجربة الأسيرات في الاحتجاج والإضراب عن الطعام. أما الأسيرة السابقة رلى أبو دحو، وبالإضافة إلى قلَّة

عدد الأسيرات لأسباب تتعلَّق بالحرية الاجتماعية المتاحة للرجال في المجتمع الفلسطيني، وانخراط أعداد أكبر منهم في الثورة حيث كان عدد المعتقلين الرجال دائماً أكثر من النساء... فتشير إلى أن إدارة السجون تعمَّدت عزل الأسيرات بالكامل عن الأسرى، وعمدت إلى خلط الأسيرات السياسيات مع السجينات الجنائيات، ما دفع الأسيرات إلى تشكيل هويتهن النسوية بالممارسة عبر الاحتجاج والإضراب لفصلهن عن الجنائيات والاعتراف بهن كأسيرات سياسيات.[116]

هذا، وتعتبر شويخ أن الأسيرات الفلسطينيات كنَّ أكثر فعالية في تنظيم الاحتجاجات داخل السجن، وعزت ذلك لما أسمته "المقاومة الميِّتة" التي تحوِّل أجسادهن إلى موقع للمقاومة واستراتيجية للصمود، وإلى ممارسة مقاومة مزدوجة ضدَّ السلطة الاستعمارية والمجتمع الأبوي في آنٍ واحد، ما يعطي تجربة الأسيرات خصوصيتها في ممارسة الاحتجاج.[117] بينما اعتبرت أبو دحو أن طبيعة الهجمة الشرسة داخل السجن على الأسيرات كانت دافعاً لوحدتهن ونجاح خطواتهن النضالية في الأسر، وأن الصراع مع النقيض يجعل من البحث عمّا هو مشترك أعلى وأكثر أولوية.[118]

قد نتَّفق مع شويخ في وصفها لنجاعة احتجاجات الأسيرات وخاصة في موقفهن الجماعي في إضرابهن عن الحرية في العام 1995، والذي استمر 16 شهراً، وفي دوافع التضامن الجماعي الذي أدَّى إلى نجاح مقاومتهن إلى حين تحررهن الجماعي، لكن تركيزها كما غيرها ممن كتبوا عن مقاومة الجسد وتحويله لأداة مقاومة كأحد الدوافع الرئيسية والتحليلية للاحتجاجات المقاومة للأسيرات والأسرى، ليس كافياً. إن للإضراب عن الطعام أبعاداً أعمق ترتبط بالجماعية في مواجهة الذات الفردية، فالاستعداد للتضحية من أجل الآخرين برز بشكل واضح في إضرابات الأسيرات كما في إضرابهن التضامني مع لطيفة حواري في العام 1969 "نحن معك، لن نتركك"، وفي مواجهة القمع ليلة الغاز في تشرين الأول/ أكتوبر 1983، وفي الإضراب السياسي في العام 1995، وما سبقه من إضرابات سياسية... وهذه كلُّها تشير إلى أن روح التضامن هي نتاج لمفهوم الجماعية المناهض لمفهوم الأنانية والاستهلاكية التي تركِّز عليها النيوليبرالية. وقد جاءت هذه المواقف الجماعية نتيجة لتراكم خبرات وممارسات تشاركية في الأسر سواء في مواجهة العنف من قبل إدارة السجون، أو جرَّاء التوعية الحزبية التي تشرَّبتها الأسيرات من خلال انخراطهن في حركات المقاومة الفلسطينية وخاصة اليسارية منها (كما يتَّضح من نقاشاتهن لمفاهيم تحررية مع المحامين، مثل روضة بصير كنموذج في كتابات المحامي الشيوعي وليد الفاهوم).[119] كما أن حالة القمع والحياة

البائسة والفقر التي تعيشها الأسيرات داخل السجن، أوجدت في الممارسة قيم التشاركية في الطعام وفي الملبس وفي الكتب وفي كل ما يملكنه داخل السجن. وبالتأكيد، يضاف إلى ذلك الوعي الطبقي[120] الذي تطوَّر بالتنظيم والممارسة العملية، فتحوَّل من وعي بذاته يقبل الواقع، إلى وعي لذاته يسعى إلى التغيير. وبذا، فإن ما مارسته الأسيرات بشكل جماعي أدَّى تراكمه إلى تمردهن على قرارات قيادتهن السياسية في إضرابات العامين 1992 و1995. وعلى الرغم من اختلاف انتماءاتهن التنظيمية، إلا أنهن تجاوزن ذلك وصغن نضالاً جماعياً مشتركاً مميزاً يعبِّر عن وعي حقيقي يواجه الوعي الفردي، وذلك برفضهن الإفراج المجزوء عنهن، وخوضهن تجربة الانتصار الجماعي الذي توِّج بالإفراج عنهن جميعاً في العام 1997.

وإذا ما ارتبط الموقع الطبقي للأسيرات بوعي طبقي تجلَّى بنضال جماعي يسعى إلى التغيير وتحقيق الهدف من الإضراب والاحتجاج، فإن هذا الإطار التحليلي يساعدنا في فهم تجربة الأسيرات في الإضراب السياسي الذي استمر 16 شهراً وفي القدرة على التضحية بحريتهن من أجل حرية غيرهن من الأسيرات. وقد وجدنا خلال عملنا البحثي أن غالبية من تعرضن للأسر هن من الطبقات المسحوقة والبرجوازية الصغيرة والمتوسطة، في بدايات الحركة النسوية الأسيرة، وفي مراحل متقدمة اقتصرت غالبيتها على النساء من الطبقات الفقيرة. ولذا، نعتقد أن التركيز على مقاومة الجسد دون ربطة بالوعي الطبقي والوعي الثوري الجماعي الذي يسعى إلى تغيير الواقع، والقناعة بجدوى النضال الجمعي للفلسطينيين داخل الأسر وخارجه، وارتباط مقاومتهن بمقاومة أحرار العالم الذين واجهوا العنف الاستعماري والاستبدادي... يبقى ناقصاً، إذ إن هذه العوامل مجتمعة هي التي ولَّدت مقاومة نسوية بالممارسة.

4.5 تغييب احتجاجات الأسيرات الفلسطينيات

شاركت الأسيرات الفلسطينيات في العديد من الإضرابات عن الطعام وعن العمل وعدد من الإضرابات الفردية ضدَّ سياسة الاعتقال الإداري. ففي العام 1969 خاضت الأسيرات أول إضراب عن الطعام لتحسين ظروفهن الحياتية داخل السجن واستمرَّ هذا الإضراب 4 أيام، وفي العام 1970 أضربن ضدَّ سياسة الضرب لمدة 9 أيام، كما شاركت الأسيرات في إضراب أسرى سجن نفحة في العام 1980 4 أيام، كما وشاركن في إضراب طويل عن العمل الإجباري في الأعوام 1983-1984

استمر 9 أشهر، وشاركن في الإضراب السياسي للإصرار على الإفراج عن جميع الأسيرات في العام 1995، والذي استمرَّ لمدة 16 شهراً. كما شارك عدد من الأسيرات في عدَّة إضرابات فردية عن الطعام، منها: إضراب عطاف عليان في العام 1987 ضدَّ سياسة التعذيب، وإضراب منى قعدان في العام 1999 ضدَّ التعذيب في التحقيق، وإضراب هناء شلبي في العام 2012 ضدَّ الاعتقال الإداري. ولكن من الملاحظ، أنه لم يتمّ للأسف تسليط الضوء بما يكفي على هذه التجارب في الأدبيات الفلسطينية التي عالجت الاحتجاجات والإضرابات عن الطعام في صفوف الحركة الفلسطينية التي تشكِّل النساء جزءاً لا يتجزأ منه. وفيما يلي نورد تفاصيل وأشكال الاحتجاج والإضراب عن الطعام للأسيرات الفلسطينيات لتعويض ما يكتنف هذا الجانب من دراسات السجن والحرية في السياق الفلسطيني، سواء كان بقصد أو دون قصد.

1969: الإضراب الأول

شهد العام 1969 أول إضراب للأسيرات في سجن "نفي ترتسا"، ولم يحظَ هذا الإضراب باهتمام كبير في التوثيق في الكتابات التي تناولت الأسرى الفلسطينيين، كما غيره من تجارب الأسيرات، وذلك باستثناء الأسيرة السابقة عائشة عودة التي قامت بتوثيق الإضراب في كتابها **ثمناً للشمس** (2012). في هذا الإضراب، تمَّ قمع الأسيرات من خلال التغذية القسرية التي تعتبر أسلوباً عنيفاً يستخدم لكسر إضراب الأسرى عن الطعام من خلال إدخال بربيش [أنبوب] مباشرة من فم أو أنف الأسير/ة إلى المعدة. ولا يقتصر استخدام التغذية القسرية على السياق الاستعماري الصهيوني، بل يشكِّل ممارسة استعمارية أوسع استُخدمت أيضاً ضدَّ الأسرى والأسيرات الأيرلنديين في سبعينيات القرن العشرين. ففي العام 1973، خاضت الشقيقتان ماريان ودولورِس برايس، إلى جانب جيري كيلي وهيو فيني، إضراباً عن الطعام كسلاح للمطالبة بنقلهم إلى سجن أرماغ Armagh Gaol في أيرلندا الشمالية حيث كان السجناء يتمتَّعون بتصنيف سياسي حُرموا منه في مكان احتجازهم آنذاك. وقد ردَّت الحكومة البريطانية بالتغذية القسرية، رسمياً بوصفها إجراءً طبياً، لكنها في الواقع شكَّلت أداة من أدوات العنف الممأسس.[121]

وعلى ذلك، فقد تشابهت أشكال القمع والتغذية القسرية لدى الأسيرات الأيرلنديات في العام 1973، مع تجربة الأسيرات الفلسطينيات في إضرابهن عن الطعام في العام 1969 والذي أُجبِرن

فيه على التغذية القسرية. وفي هذا السياق، تتحدَّث عائشة عودة عن إضراب سجن الرملة، وهو أول إضراب جماعي تخوضه الأسيرات الفلسطينيات. فتقول: "تم استدعاء إدارة السجن لفاطمة البرناوي (وهي أول أسيرة فلسطينية بعد العام 1967)، وأبلغتها أن هناك قانوناً جديداً لزيارة الأهل للأسيرات، ينصُّ على أن الزيارة مرَّة بالشهر بدل مرَّتين، بالإضافة للسماح فقط للأقرباء من الدرجة الأولى بالزيارة، ودون إدخال أيّ مواد إضافية خلال الزيارة. وتعتبر زيارة الأهل محطة مهمة في حياة الأسيرات والأسرى، فرغم قصر مدة الزيارة التي لا تتجاوز 45 دقيقة، إلا أنها مليئة بالأحداث من حيث الاطمئنان على العائلة ومتابعة أخبارهم وتفاصيل حياتهم، وتشكِّل تواصلاً مع البشر والأماكن، المدينة أو القرية أو المخيم، وتفاصيل الحيّ وغرف المنزل والجيران والأصدقاء. زيارة الأهل هي اللحظات التي يتمُّ فيها شحن الأمل وتعزيز الصمود داخل أسوار السجن."[122]

وتروي عودة تفاصيل الإضراب، فتقول إن البرناوي عادت من اجتماعها مع إدارة السجن غاضبة وأعلنت نيَّتها الإضراب عن الطعام حتى يتمَّ تغيير القانون. وبعد المشاورات بين الأسيرات، قرَّرن الإضراب وأبلغن الإدارة بهذا القرار. في اليوم الأول من الإضراب رفضن الخروج لتناول الطعام، وفي اليوم الثالث من الإضراب تمَّ فحصهن، واتخذت إدارة السجن قراراً بإطعامهن بالقوة، حيث قامت بسحب كل أسيرة على حدة، وبدأت أولاً بمساومة كل أسيرة على فك إضرابها، وحينما ترفض يتمُّ إجلاسها بالقوة على كرسي، وتقييد يديها إلى الخلف، وإدخال بربيش له محقن في أنفها، وإفراغ كأس الحليب في معدتها.[123] لقد عرَّض ذلك حياة عدد من الأسيرات للخطر، مثلما حصل مع الأسيرة حياة عبيدو التي عادت من العيادة في حالة صعبة، حيث كانت تتنفس بصعوبة ووقعت على الأرض بعد أن ازرقَّ لونها. بدأت الأسيرات بضرب الأبواب (وهي طريقة احتجاجية يستعملها الأسرى والأسيرات)، فجاءت السجانة ونظرت إلى حالة حياة عبيدو وقالت "لتمت"، ثم أدارت ظهرها، واستمرَّت عملية ضرب الأبواب حتى تمَّ إخراج عبيدو إلى المستشفى.[124] وهنا عبَّرت الأسيرات عن جماعيَّتهن التضامنية بالطرق على الأبواب من أجل رفيقتهن، على الرغم مما سيجلبه لهن ذلك من قمع من قبل إدارة السجن، وهذا ما نقصده عند الحديث عن القيم الجماعية في مواجهة القيم الفردية والأنانية.

حقق إضراب الأسيرات عن الطعام انتصاراً جزئياً لهن، إذ تمَّ تعديل قانون الزيارة بحيث أصبحت الموقوفة لديها زيارة كل أسبوعين، بينما المحكومة لديها زيارة كل شهر، وبقيت الزيارة مخصَّصة

للأقارب من الدرجة الأولى فقط. وقد علمت السجينات بعد شهرين من انتهاء الإضراب، عن طريق زيارة الأهل، أن الأسيرة حياة عبيدو تمَّ الإفراج عنها بعد علاجها في المستشفى نتيجة دخول الطعام إلى رئتيها.[125]

تبع هذا الإضراب، إضراب عن الطعام بتاريخ 28 نيسان 1970 في سجن الرملة للنساء، سجن "نفي تريتسا"، والذي استمر لمدة 9 أيام شاركت فيه الأسيراتُ الأسرى في مطلب وقف سياسة الضرب، كما طرحن مطلب حقِّهن بالحصول على الفوط الصحية التي كان يحضرها لهن الصليب الأحمر. وقد حققت الأسيرات نتيجة هذا الإضراب عدَّة مطالب منها زيادة الوقت المسموح لهن بالبقاء خارج الزنزانة، والحصول على الاحتياجات النسائية الصحية، وتحسين جودة الهواء داخل الزنازين من خلال وضع نافذه شَبكية على الأبواب.[126]

1972: نحن معك لن نتركك

أعلنت الأسيرة السابقة لطيفة الحواري إضرابها عن الطعام في سجن "نفي ترتسا" في 4 تشرين الثاني 1972 احتجاجاً على الإهمال الطبي بحقِّها، وعدم تقديم علاج من قبل إدارة السجن، إلى أن وصل الحال بها إلى فقدان القدرة على الحركة. كان نصفها الأسفل مشلولاً، وجرى نقلها إلى مستشفى صرفند دون إعلام عائلتها، ولم تتحسَّن حالتها الصحية لأنها كانت بحاجة إلى علاج فيزيائي مكثَّف. استمرت الحواري بالنضال للمطالبة بحقِّها بالعلاج، وحينما لم تجدِ مطالباتها نفعاً، أعلنت إضراباً مفتوحاً عن الطعام. وانتقاماً منها على إضرابها تمَّ إيقاف أي علاج (العلاج الذي لا يجدي نفعاً أساساً)، ولم يُسمح لها بتبديل ملابسها، كما منعت رفيقتها في الزنزانة من مساعدتها.[127]

وبعد 3 أيام، انضمَّت الأسيرات الموقوفات السياسيات، والسجينات الجنائيات، إلى إضراب الحواري، تحت شعار "لن نتركك"، وأطلقت السجينات من داخل زنازينهن عبارات التشجيع للطيفة "نحن معك، لن نتركك، حتى لو أغمي علينا جميعاً."[128] استمرَّ إضراب الحواري عن الطعام 7 أيام، ورفيقاتها في الزنازين 4 أيام، تعرَّضت أثناءه لمختلف أشكال القمع والإرهاب، وحينما كانت تطلب مسكِّناً لألمها كان جواب السجَّانات: "فقط عندما تكفِّين عن الإضراب"، ولم يتمّ إعطاؤها أي نوع من العلاج أو حتى الماء الساخن لتخفيف آلامها.[129]

بتاريخ 21 كانون ثاني 1973 زارت المحامية فليتسيا لانغر الحواري بعد محاولات عديدة وبتأخير في السماح لها بزيارة موكلّتها باشتراط وجود السجانة في الزيارة. وقد رافق ذلك التنبيه على المحامية بعدم إبداء كلمات التشجيع والمؤازرة لموكّلتها من قبل السجانة—التي هدَّدت بقطع الزيارة حينما حاولت المحامية التحدُّث باللغة الإنجليزية في محاولة لإيصال بعض من كلمات التشجيع للحواري التي جاءت للزيارة على مقعد بسبب آلامها الشديدة. في تلك الزيارة استطاعت الحواري أن توصل بطريقتها الخاصة بعضاً مما كان يحصل معها إلى محاميتها، إذ أخبرتها أنها حينما طلبت من مديرة السجن تأمين حقوقها كموقوفة، أجابتها المديرة "أعطنا شيئاً، وعندئذ سنعطيك نحن أيضاً"، في محاولة من المديرة لابتزاز الحواري التي كان جوابها: "لن أصبح سجانة هنا، ليس لديّ ما أعطيكم، أخذتم مني كل شيء: حريتي، صحتي، سجنتم خطيبي، هدمتم منزلي، وحطمتم أسرتي. ماذا تريدون غير ذلك مني؟ شرفي؟ هذا ما لن أتخلَّى عنه."[130]

وهنا نلاحظ أن الحواري صاغت مفهوم الشرف خارج السياق الاجتماعي التقليدي الذي يُنظر إليه من منطلق المسِّ بجسد المرأة. فقد عنى الشرف لها صون المعلومات وحماية رفيقاتها في الأسر، وعدم إفشاء الأسرار. وفي هذا السياق، حلَّلت لينة ميعاري كيف يتحدَّى صمود المناضلات الفلسطينيات الربط السائد في المجتمع الفلسطيني بين جسد المرأة من جهة وكرامتها وشرفها من جهة أخرى في مواجهة تصورات الاستعمار حول هذا الربط.[131] وهذا يظهر كيف أن الأسيرات قمن بصياغة مفاهيم ارتبطت بوعيهن وممارستهن للنضال استناداً إلى تجربتهن الجماعية العامة وتجربة كل منهن على حدة في آنٍ معاً.

إن مضمون الجماعية في الفعل المقاوم، المتمثِّل بالإضراب عن الطعام، استطاع التأثير حتى على السجينات الجنائيات، ما يعني أن الفهم للجماعية والتضحية قد مارسته الأسيرات كنتاج لتعبئة فكرية تأثرن بها قبل الاعتقال من خلال انخراطهن بحركات التحرر. وقد وجدت الأسيرات فرصة لاختبار ذلك من خلال إضرابهن الجماعي عن الطعام الذي تطوَّر بالممارسة من خلال الديناميكيات التي استخدمتها الأسيرات لإظهار التضامن داخل الأسر. ولذا، فإن المسألة ليست فقط في كيفية مقاومة الجسد من خلال الإضراب عن الطعام، وإنما تتجلَّى في الوعي الجذري لمفهوم التضامن الجماعي والتضحية من أجل الآخرين في مواجهة الوحش الاستعماري، الأمر الذي أوجدت الأسيرات المساحة لممارسته من خلال الإضراب عن الطعام.

لقد مارست الأسيرات الفلسطينيات الإضراب عن الطعام كوسيلة احتجاجية لمواجهة آلة القمع، وللمطالبة بأبسط حقوقهن الإنسانية، والمطالبة بحريتهن، ومشاركة رفاقهن في الأسر في التضامن والاحتجاج... ما يؤكِّد أن النساء في الأسر كنَّ فاعلات في مواجهة المنظومة الاستعمارية، ولسن مجرد ضحايا لها. وقد تجسَّدت الجماعية والاستعداد العالي للتضحية بعضهن من أجل البعض الآخر في خوضهن الإضراب الجماعي لإسناد الأسيرة الحواري بعبارة تحمل الكثير من المضامين: "نحن معك لن نتركك". إنها مضامين الجماعية، والتضامن، والإسناد الفعلي.

1980: إضراب سجن نفحة

خاضت الأسيرات في العام 1980 إضراباً عن الطعام استمر 4 أيام وذلك بعد أن وصلهن خبر استشهاد الأسيرين علي الجعفري وراسم حلاوة من خلال مناداة الشباب الذين كانوا متواجدين في مستشفى سجن الرملة القريب من سجنهن، حيث كرَّر الشباب المناداة بصوت مرتفع حتى يتأكَّدوا من وصول الخبر إلى الأسيرات، وتمَّ إعلام الأسيرات أن كل السجون قد أعلنت إضرابها المفتوح عن الطعام. وقد وقع الخبر كالصاعقة على الأسيرات كما تصف الأسيرة السابقة ناديا الخياط، وفوراً اجتمعت الأسيرات وأخذن قراراً جماعياً بالإضراب عن الطعام لمدة 4 أيام، حيث تعرَّضت الأسيرات للقمع من خلال اقتحام الغرف وتفتيشها من قبل السجانين الذين يرافقهم الجنود، إذ تقول الخياط: "اقتحموا القسم من كل الاتجاهات، وبهمجية لم يسبق لها مثيل قام كل جندي بجرّ اثنتين منا بقسوة وعنف مدجَّجين بالأسلحة والهراوات وأنابيب الغاز عبر الممر الطويل إلى غرفة الطعام، وما زلنا بملابس النوم ولم يسمحوا لنا بتغييرها. منهم من أمسك بعضنا من شعرها أو من كتفها أو من أطراف ملابسها."[132] وقد استمرَّ تفتيش الغرف بطريقة همجية لأكثر من 3 ساعات، تمَّت خلاله مصادرة مواد التموين والكتب والأقلام والدفاتر، وحرمان الأسيرات من الخروج إلى الفورة.[133]

لقد عنت مشاركة الأسيرات في هذا الإضراب تأكيداً على أنهن جزء فاعل من الحركة الأسيرة. وحينما تمَّ تهريب قصاصة من صحيفة عبرية من خلال إحدى السجينات الجنائيات (والتي جاء فيها: "هبة جماهيرية ضدَّ إدارة مصلحة السجون ضمَّت أهالي المعتقلين والمعتقلات، وجميع مؤسسات حقوق الإنسان الفلسطينية والأجنبية ومتضامنين أجانب من كل أنحاء العالم، ومظاهرات واعتصامات في

كل المدن الفلسطينية من شمالها حتى جنوبها وكثير من الدول العربية"[134])، وقد شحذ مضمونها همم الأسيرات وشعرن أنهن لسن وحدهن في هذا النضال، فالعالم كلُّه معهن. وليس هذا وحسب، بل إن مشاركة الأسيرات في هذا الإضراب تؤكِّد على أنهن جزء من الحركة الوطنية الأسيرة التي تشكِّل امتداداً للحركة الوطنية الفلسطينية في نضالها من أجل الحرية وتقرير المصير.

هنا كان للإضراب عن الطعام مدول آخر، وهو التأكيد على فعالية الأسيرات السياسية، سواء من خلال مشاركة الأسرى إضرابهم عن الطعام لإثبات أنهن جزء من الحركة الوطنية الأسيرة، أو من خلال امتداد تأثير هذه الخطوة ذات المدلول السياسي في نضالهن إلى خارج السجن عبر تحريك المظاهرات والاعتصامات من قبل المتضامنين، حيث إن التضامن فعل سياسي يعبِّر عن نضال مشترك لمن هم داخل الأسر ومن هم خارجه من خلال الإسناد الفعلي بخطوات احتجاجية موازية.

وفي فترات أخرى، شاركت الأسيرات في أكثر من إضراب جماعي عن الطعام مع باقي السجون. ففي 27 أيلول 1992 بدأ الأسرى في كل من سجن جنيد وعسقلان ونفحة ونابلس والخليل إضراباً عن الطعام للمطالبة بوقف سياسة العزل والتفتيش العاري، وتحسين العلاج الطبي، والسماح بالتعليم وإدخال الكتب، والحصول على تهوية كافية للغرف بعد أن كست إدارة السجون الشبابيك بمادة الأسبست المسرطنة. وقد التحقت الأسيرات بهذا الإضراب بتاريخ 1 تشرين الأول 1992. واستمرَّ هذا الإضراب لمدة 11 يوماً لدى الأسرى و15 يوماً لدى الأسيرات، بعد أن تحققت غالبية مطالبه.[135]

إن الإضراب عن الطعام، كأحد أشكال الاحتجاج، هو معركة خاضتها الأسيرات بالمقاومة والإرادة والوعي والتصميم. وهذه المقاومة تحتاج إلى الإعداد المسبق والتهيئة النفسية لخوضها، كما تحتاج إلى نقاش وقرار جماعي قبل البدء فيها. وهذا ما لاحظناه بالاستعداد الجماعي للأسيرات من خلال النقاش المشترك لموضوع الإضراب الذي خضنه في العام 1969، وفي المطالبة بحقهن بزيارة عائلاتهن لهن على الرغم مما تعرضن له من قمع ومحاولات كسر إضرابهن باستخدام وسيلة التغذية القسرية، ما هدد حياة الأسيرة عبيدو. وعلى الرغم من ذلك، استمرت الأسيرات بالإضراب إلى أن تحقَّق جزء من مطالبهن. كما ظهر ذلك من خلال مشاركتهن في إضراب الأسرى في سجن نفحة. إنها، إذن، ممارسة جماعية للأسيرات تعكس الروح المقاومة لهمجية السجانة والسجان، فالواقع يخلق ممارسة ملموسة لمعنى الحياة والتضحية. لقد تعلمت الأسيرات تطوير

وسائل المقاومة الجماعية لحماية بعضهن البعض الآخر، ولاستمرار تمرُّدهن على ما يحاول السجان فرضه عليهن بالقوة. إنها المقاومة النسوية التي نقصدها في المواجهة العملية للقمع، فالقمع يواجهه التمرُّد والمقاومة، وهذا ما عبَّرت عنه الأسيرات الفلسطينيات في ممارستهن للعديد من الاحتجاجات الجماعية كوسائل نضالية بالممارسة، والتي تم تغييبها للأسف في الأدبيات وما كُتب عن الأسرى الفلسطينيين ومن قبلهم.[136]

6. الإضرابات عن العمل

يُعتبر السجناء في العالم، وبشكل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية، قوة عمل رخيصة للشركات الرأسمالية. ومن هنا نشأ ما يسمَّى بـ"الصناعات السجنية" التي ترتكز على عمل السجناء وزيادة الأرباح من خلال استغلالهم. أما استغلال الأسرى كأيدٍ عاملة رخيصة داخل السجون "الإسرائيلية" فقد ظهر مع بدايات الاحتلال العسكري في سنة 1967، حيث استمرَّ العمل الإجباري لدى الأسرى حتى العام 1978، وعند الأسيرات حتى العام 1983. وقد توقَّف العمل الإجباري بعد أن خاض الأسرى والأسيرات العديد من الإضرابات والاحتجاجات ضدَّ هذه السياسة، وتمَّ قمعهم بشكل عنيف من قبل إدارة السجون.

لم يقتصر العمل داخل السجون على السجون "الإسرائيلية"، وإنما كان جزءاً من البنية الرأسمالية الاستعمارية العالمية التي تسعى إلى الربح من خلال فائض قوة عمل المساجين أو الأسرى. وقد وصف كل من خوسيه مانويل وليزا ر. نظام السجون في الولايات المتحدة الأمريكية بأنه مرتبط بتطوُّر الرأسمالية—الرأسمالية التي حوَّلت العقوبات الجسدية ونفي السجناء وعملهم القسري الذي كانت تفرضه على السجناء سابقاً إلى وسيلة لاستغلال القوى العاملة من خلال تحويل السجناء إلى سلعة قابلة للاستغلال في السوق الحرة من خلال تشريعات قانونية. ففي العام 1979 مرَّر الكونغرس الأمريكي برنامج تحسين الصناعات السجنية (PIE)، ومن ثم قانون الصناعات السجنية، ما أعاد فتح الباب أمام الشركات الخاصة لاستغلال عمل السجناء.[137] ولخدمة ذلك جرى تضخيم عدد السجناء كأيدٍ عاملة رخيصة.

وقد قفز عدد السجناء في الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة بين 1970-2000 إلى ستة أضعاف، وارتفعت أرباح الشركات الخاصة التي تدير السجون. وبذا، تحولت السجون إلى أدوات لاستغلال الطبقة العاملة وخاصة في سياق تاريخ طويل من العبودية والقمع العنصري.[138] وكمثال على ذلك، يمكن ذكر سجن لويزيانا الذي كان في الأصل مزرعة للمستعبَدين، وبعد هزيمة الجيش الكونفدرالي تمَّ إجبار مالكها على التحوُّل من العبودية الشخصية إلى نظام استئجار السجناء. وفي سنة 1901، أصبح السجن مؤسسة حكومية، واليوم يعدُّ سجن لويزيانا أكبر السجون وأشدُّها قمعاً وأكثرها تحصيناً في الولايات المتحدة الأمريكية.[139] ومما سبق يظهر ارتباط الرأسمالية بالعنف الذي تمارسه في منظومة سجونها، ومنها السجون "الإسرائيلية"، باعتبار السجون فضاءً رأسمالياً ينتج الربح من

القمع،[140] سواء من خلال استغلال عمل السجناء في ظروف غير إنسانية، أو بالقمع الذي تمارسه تجاه أي تمرُّد يسعى الأسرى من خلاله لرفض منظومة السجن ومقاومتها. وهو ما سنستعرضه تالياً من خلال تجربة الأسيرات الفلسطينيات في رفضهن للعمل الإجباري في السجون الصهيونية.

لقد سبق الإضراب الطويل عن العمل الذي خاضته الأسيرات في العام 1983 أشكال احتجاج مختلفة لرفضهن العمل فيما ترفضه مبادئهن الوطنية، إذ قامت الأسيرات العاملات في المخيطة في العام 1979 بتخريب ما قمن بخياطته من شراشف، وذلك بعد اكتشافهن أن ما يقمن بخياطته هو شراشف لمشفى عسكري للجنود "الإسرائيليين" (كان عبارة عن ملاءة بيضاء مكتوب على أعلاها أحرف بالعبرية). وفي هذا الصدد، تقول الأسيرة السابقة ناديا الخياط إن الأسيرات بعد أن قامت زميلتهن التي تتقن العبرية بتفسير الاختصارات العبرية على الشراشف، ناقشت الأسيرات الاحتجاج المنوي عمله إزاء ذلك، واتخذت الأسيرات قراراً مبدئياً بتخريب كل ما قمن بإنتاجه وما سيتم إنجازه حتى انتهاء ساعات العمل. وقد كانت هذه الخطوة المتفق عليها مقدمة لنقاش الأسيرات وقرارهن النهائي برفض العمل في هذا المنتج.[141] هذا، وتشاركت الأسيرات مع الأسرى في رفض العمل الإجباري الذي يعتبر خدمة للاحتلال وجنوده كشِباك التمويه للدبابات، وحياكة طواقي للجنود، وأعمال الصيانة والبناء للسجون، والطبخ للسجانات ولموظفي السجون.

بتاريخ 18 حزيران 1982، خاضت الأسيرات في سجن "نفي ترتسا"، إضراباً عن العمل الإجباري في صناعات الدعاية لشركات الطيران ومن ضمنها شركة "إلعال"، والعمل في المخيطة والأباجورات، كما رفضت الأسيرات الاستمرار في العمل الإجباري لصالح مصنع "تاديران" لتركيب الأزرار الكهربائية. وقد وصفت الأسيرة السابقة سعاد غنيم في كتابها **ذاكرة القضبان** (2022)، ظروف العمل الصعبة التي عملت فيها الأسيرات لصالح هذا المصنع، بالقول: "هذا المصنع ما هو إلا غرفة مكتظة بالمناضلات والسجينات الجنائيات اللواتي يعملن تحت ظروف غير صحية بتاتاً. حركات الأصابع المكررة تسبَّبت في تشنُّجات اليد. الجلوس لثماني ساعات دون استراحة عدا عن الإضاءة وعدم التهوية في الصيف الحار وفي الشتاء تحت البرد القارس، [هي] ظروف غير إنسانية تسببت في أمراض مزمنة."[142] وقد ترافق هذا الإضراب مع الحرب الصهيونية على لبنان سنة 1982، واعتبر المحامي وليد الفاهوم (في رسالة الشكوى التي وجَّهها لإدارة مصلحة السجون احتجاجاً على الإجراءات الانتقامية التي تمثلت بعزل عدد من الأسيرات ومنعهن من زيارة عائلاتهن) أن هذه

العقوبات هي إجراء "انتقامي على خلفية الأحداث في لبنان."[143]

بدأ الإضراب الطويل عن العمل الإجباري، وبشكل خاص الطبخ للسجانات في العام 1983 واستمر لـ 10 أشهر.[144] وقد تحدَّث الفاهوم (الذي كان يزور الأسيرات في سجنهن في كتابه طيور **نفي ترتسا** (1984))، عن إضراب الأسيرات عن الطبخ للسجانات الذي جاء إثر استفزاز السجانات لهن والتنكيل بهن في المطبخ، وعلى إثر ذلك رفضت الأسيرات الاستمرار بالعمل. وقامت إدارة السجن باستدعاء عدد آخر من الأسيرات ليحللن محل من رفضن الاستمرار بالعمل، إلا أنهن جميعاً رفضن ذلك، ورفضن العمل في الطبخ للسجانات. وقد اعتبرت الأسيرات رفض الطبخ للسجانات قراراً مبدئياً، بالقول: "نحن في مرحلة الدفاع عن إنسانيتنا، وعن كرامتنا القومية والإنسانية."[145] لم يكن هناك مانع لدى الأسيرات من العمل الاختياري مدفوع الأجر في بقية مرافق السجن كالخياطة، والحقل، وورشة الكهرباء على الرغم من إدراكهن لاستغلالهن كأيدٍ عاملة رخيصة من قبل الشركات "الإسرائيلية". هذا، ويعتبر الفاهوم موقف الأسيرات من العمل الاختياري داخل السجن بأنه يعبِّر عن فهم ثوري وحسٍّ انتماء للطبقة العاملة وطموحاتها.[146]

لم يمر هذا الإضراب بسهولة على الأسيرات فقد رافقه قمع وحشي، تمثَّل بمنع الأسيرات من الفورة وزيارة عائلاتهن لهن، وعزلهن في الزنازين إلى أن تُوِّج القمع بما عُرف بـ "ليلة الغاز"، التي جاءت إثر احتجاج الأسيرات على مصادرة إدارة السجن المكتبة الخاصة بهن والموجودة في غرفة الطعام، وذلك بالطرق على أبواب الزنازين وقذف السجانات ومديرة السجن بالماء عبر شبك الزنازين.

6.1 ليلة الغاز

في ليلة 31 تشرين الأول 1983 قامت قوات كبيرة من داخل السجن ومن خارجه بالهجوم على الأسيرات ورشِّهن بالغاز من فتحات شبابيك الزنازين وطاقات الأبواب ["الأشناف"]، وذلك باستخدام خراطيم الغاز بكميات كبيرة. في حينه "برزت الشبابيك من حَمِّ الغاز، واحترقت شعور البنات ووجناتهن، وعلى بعضها طفحت الحبوب من أثر الحرارة."[147] وقد عاشت الأسيرات لحظات الوداع الأخير خلال قمعهن بالغاز، وعبَّر بعضهن عن ذلك للمحامي الذي التقاهن بعد فترة من ليلة الغاز، بالقول: "لم أكن أتصور أن نلتقي مرة أخرى بعد الذي حدث. من البنات من تشاهد على روحه ومنهن من طلب الإنجيل، ومنهن من ودَّعت قائلة نلتقي أحراراً على أرض فلسطين."[148]

وقد تحدَّثت سهام البرغوثي، التي كانت متواجدة في تلك الفترة داخل السجن، وكانت شاهداً على قمع الغاز، ووصفت فيه استخدام السجانين للخراطيم في رشّ غرف الأسيرات بالغاز، بالقول: "كانوا جايبيين إشي غاز، هذا خرطوم ورشُّونا، أوَّلها أنا فكرت بنقدر نتحمَّل. راحوا البنات على الشباك علشان ياخذوا هوا، وأنا على الحيطة."[149] وعند سؤالها عن عناصر قوة الأسيرات في تلك المواجهة القاسية، أجابت: "لإنو إشي جماعي كان، لإنو الكل مع بعض، والكل في نفس المأساة والكل بقوِّي في بعض، ما في انهيارات، ما في حدا مهزوم... استمرّينا في الإضراب عن العمل، وصارت ضجة كبيرة في الخارج مع الإضراب."[150]

بلغ عدد الأسيرات في حينه 30 أسيرة، ووصفت الإذاعة الصهيونية عملية القمع الهمجية بأنها ردّ على تمرُّد 30 أسيرة فلسطينية في سجن "نفي ترتسا" بعد أن تمَّ الكشف عن هذا القمع من خلال زيارة المحاميتين ليئه تسيمل وفليتسيا لانغر. وقد رافق هذا الكشف العديد من المظاهرات والاعتصامات التضامنية والتي تطالب بوقف الهجمة الشرسة على الأسيرات.[151]

هنا، نلاحظ مرة أخرى مدى ترابط النضال داخل السجن وخارجه والنجاح في تنظيم الاعتصامات والمظاهرات وكافة أشكال الاحتجاج الشعبي الداعم لإضراب الأسيرات وفي التضامن معهن، والجماعية في خوض التمرُّد داخل السجن. وقد تكلَّل إضراب الأسيرات عن العمل الإجباري بالنصر وبتحقيق مطلبهن الأساسي برفض الطبخ للسجانات إلى أن وصل الأمر إلى الوقف النهائي لعمل الأسيرات الإجباري داخل سجن النساء في نهاية العام 1983.

لم يكن إضراب الأسيرات عن العمل منفصلاً عن سياق نضال الأسرى ضدَّ العمل الإجباري في سجن الرملة الذي بدأ في العام 1969 برفض الأسرى العمل في صناعة شِباك الدبابات، وإضراب الأسيرات في "نفي ترتسا" في العام 1977 عن العمل في المخيطة التي تخيط ملابس وطواقي وشراشف الجنود، وكذلك إضرابهن عن العمل في صيانة الدعاية لشركة "إلعال" للطيران في العام 1982...[152] الإضراب الذي انتصر فيه الموقف المبدئي لعدم العمل في ما يتعارض مع قيم الأسرى والأسيرات الوطنية والإنسانية.

إن تعامل الأسيرات داخل السجن مع قضية العمل الإجباري ورفض العمل فيما يمسُّ نضالهن

الوطني، والتمرُّد عليه (سواءً بالتخريب أو برفض العمل مطلقاً، إلى أن وصل القمع الممارس عليهن بالرشَّ العنيف بالغاز، وما أحدثته ليلة القمع من تأثير على تعرية فاشية السجان، وحملة التضامن الشعبي مع نضالهن خارج السجن) يؤكِّد بأن النضال داخل الأسر هو امتداد لنضالهن ضدَّ المستعمِر. كما وأن وعيهن ورفضهن للاستغلال الطبقي والوطني كموقف مبدئي برز من خلال حواراتهن مع المحامي وليد الفاهوم، ليمتدَّ تأثيره إلى خارج السجن من خلال قدرة الأسيرات على تحريك الرأي العام الخارجي وتوسيع رقعة التضامن مع نضالهن.

7. الإضرابات السياسية بعد اتفاقية أوسلو

لا يمكن إغفال التحوُّل الذي طرأ على الحركة الوطنية الفلسطينية عموماً وعلى الحركة الفلسطينية الأسيرة داخل السجون بشكل خاص بعد اتفاقية أوسلو 1993 وإنشاء السلطة الفلسطينية 1994. فقد أصبحت القضية الفلسطينية بالغة الخصوصية، وهي ما وصفها عبد الرحيم الشيخ بـ"حالة النفق" نظراً لتشابهها مع "حالة الجزائر بعد الاستقلال من حيث التحوُّلات التي تشهدها الدول المستعمَرة بعد التوصُّل الى حل سياسي غير مبني على الحقوق الوطنية، بل على ميزان القوى الدولي الذي فرض الحل السياسي من دون أن ينهي المظلمة التاريخية."[153] وفي تناوله لكتابات وليد دقة، وتحديداً مسرحية الشهداء يعودون الى رام الله،[154] يربط الشيخ بينها وبين وضع الجزائر في رواية الطاهر وطار **الشهداء يعودون هذا الأسبوع**،[155] لوصف التحوُّلات التي تجري على الحالة ما بعد الاستعمارية. فـ"على الرغم من استمرار 'إسرائيل' كدولة مستعمِرين استيطانية، فإن الحالة الفلسطينية شهدت خمسة تحولات مركزية شكَّلت السياق التاريخي لمسرحية دقة، بدءاً بمشروع السلطة الوطنية (1974)، وانتهاء بتعديل الميثاق الوطني الفلسطيني (1996): الأول، يتعلَّق بتحويل حركة التحرر الوطني الفلسطيني (منظمة التحرير الفلسطينية) إلى وكيل استعماري (سلطة فلسطينية)؛ الثاني، يتعلَّق بتعديل رؤية الجماعة الوطنية الفلسطينية المتخيَّلة عبر استثناء جزأين مكوِّنين أصيلين من الشعب الفلسطيني، وهما فلسطينيو 1948، وفلسطينيو الشتات؛ الثالث، هو تحويل المجتمع المدني الفلسطيني الفتيِّ من كونه جزءاً من الحركة الوطنية المقاومة للاستعمار، إلى جماعات من 'الوسطاء' تعمل على التعايش مع الاستعمار و'تفكيكه'؛ الرابع، تشريع الأبواب أمام المبادرات السياسية والثقافية المتنوعة لحل 'المسألة الفلسطينية' بعد أن جرى تفتيت 'القضية الفلسطينية' مثلما عرَّفها الميثاق الوطني الفلسطيني (1968)؛ الخامس، استبدال سياسات الذاكرة بسياسات النسيان."[156]

هذا، وقد وكان الأسير الشهيد وليد دقة قد وصف حال السجون بعد أوسلو والتحوُّلات التي طرأت على الحركة الأسيرة في كتابه **صهر الوعي** (2010) ودراساته التالية التي تناولت تداعيات وأسباب فشل إضراب الأسرى سنة 2004، وغياب الجماعية في الموقف، ونشوء مراكز قوى تتبع سلطة أوسلو التي قامت بدور الكابو، وعملت على إضعاف الاحتجاجات ضدّ إدارة السجون وإفشالها، فيما لم تكن الحالة مشابهة عند الأسيرات.[157]

لم تكن الإضرابات السياسية التي خاضتها الأسيرات منفصلة عن السياق التاريخي لاحتجاجاتهن، فقد خاضت الأسيرات العديد من الإضرابات عن الطعام وغيرها من أشكال الاحتجاج تاريخياً. ففي العام 1969 خاضت الأسيرات أول إضراب لهن. وشهدت الفترة بين 1970-1973 عدة إضرابات عن الطعام حيث أضربت الأسيرات 9 أيام من أجل تحسين تهوية الغرف والحصول على احتياجاتهن من الأهل.[158] ولاحقاً شاركت الأسيرات في إضراب سجن نفحة في العام 1980، والإضراب الطويل عن العمل بين العامين 1983-1984، كما شاركن في إضراب العام 1988 للمطالبة بفصل الأسيرات السياسيات عن الأسيرات الجنائيات إلى سجن آخر. وبالفعل جرى نقل الأسيرات من سجن "نفي ترتسا" إلى سجن "تلموند (هشارون)" في العام 1988، واستمر هذا الإضراب لمدة 3 أشهر امتنعت فيه الأسيرات عن الخروج إلى غرفة الطعام.[159]. وفي فترة لاحقة شاركت الأسيراتُ الأسرى جميعاً في إضراب العام 1992 الذي استمر لأكثر من 15 يوماً،[160]، والذي شكَّل محطة مطالبة داخلية لدى الأسيرات بالانفصال عن الأسرى السياسيين الفلسطينيين في قراراتهم بسبب أن أسرى سجن عسقلان (حيث تمركزت قيادة الإضراب في حينه) قد أوقفوا الإضراب دون التشاور مع الأسيرات اللواتي استمررن في إضرابهن 4 أيام إضافية بعد أن فكَّ الأسرى إضرابهم.[161]

نجحت الأسيرات على الرغم من اختلاف انتماءاتهن الحزبية في تشكيل قيادة جماعية منفصلة عن امتداداتهن الحزبية داخل السجون الأخرى، وأعلنَّ تمرُّدهن على القرارات الفوقية من قيادة الأسرى، كما أعلنَّ انفصالهن بقراراتهن وفقاً لواقعهن الملموس. وقد تُوِّج هذا التمرُّد بإعلان فكِّ ارتباطهن بسجون الرجال بشكل نهائي خلال الإضراب السياسي في العام 1995، وهو الإضراب الذي خاضته الحركة الأسيرة احتجاجاً على تغييب بند الإفراج عن الأسرى من اتفاق أوسلو وما تلاه من اتفاقيات، وكان تحت شعار "لا سلام دون الإفراج عن الأسرى". وبينما استجاب الرجال في الحركة الفلسطينية الأسيرة لقرار السلطة الفلسطينية بإنهاء الإضراب، رفضت الأسيرات الانصياع لهذا القرار في ظلِّ غياب التزام واضح بالإفراج، والاكتفاء بوعود شفوية، ما دفعهنَّ إلى قطع العلاقة التنظيمية مع الأسرى.[162] مهَّد ذلك لإضراب الأسيرات الطويل للمطالبة بالحرية الكاملة لجميع الأسيرات. وقد عزت الأسيرات السابقات موقفهن الجماعي هذا، على الرغم من اختلافاتهن الأيديولوجية والسياسية، إلى أن ثقافتهن كانت ثقافة وطن وليست ثقافة حزب، كما أن التنظيم الداخلي للأسيرات كان أقوى وأمتن بحكم وجود

الأسيرات ذات العدد القليل نسبياً في سجن واحد، ما سهَّل اتخاذ قرارهن الجماعي.[163]

إن القرارات الراديكالية، والجماعية، والقدرة على التمرُّد على القرارات التي تستثني رأي الأسيرات، لها أبعاد أوسع مما وصفته الأسيرات، فالجماعية النسوية (التي تطوَّرت بالممارسة من خلال النقاشات الداخلية وبلورة قرارات جماعية تشارك فيها كل الأسيرات وليس فقط ممثلاتهن في لجان الحوار) تُعتبر آلية ديمقراطية تشاركية سعت الأسيرات إلى انتهاجها بشكل مستمر. هذه الآلية تتجلَّى في مختلف النضالات الاحتجاجية الأخرى التي خاضتها الأسيرات في مواجهة السجان. وقد وصفت الأسيرات في الحواريات معهن أن القرارات المتخذة من قبلهن بشأن كافة أشكال الاحتجاجات في الأسر كانت تخضع لنقاش داخلي جماعي طوَّرته الأسيرات بممارستهن اليومية التي كانت تعكس حميمية واضحة في علاقتهن داخل الأسر، سواء باحتضان بعضهن بعضاً أو بالغناء المشترك وبحميمية استقبال الأسيرات الجديدات، والحديث المفتوح بينهن حتى في قضايا الحب والعائلة وغيرها مما يُعتبر نقاشات تتمُّ في أطر مغلقة نسبياً، وأحياناً تعتبر من المحرَّمات في المنظور الاجتماعي التقليدي الذي عاشته الأسيرات خارج السجن. وفي هذا السياق، عبرت إحدى الأسيرات عن ذلك في إحدى الحواريات، بالقول: "داخل السجن خلقنا المجتمع الذي نريد، مجتمعنا الخاص الذي نرغب أن نعيشه دون تدخُّل من أحد".[164]

وعلى صعيد آخر، فقد أوجدت المعاناة المشتركة التي عاشتها الأسيرات داخل السجن آليات حميمية جماعية تعكس ممارسة نسوية تحررية. وقد أوضحت الأسيرة السابقة رلى أبو دحو كيف أن القضايا المشتركة بين الأسيرات تطوَّرت من خلال فهم لما هو مشترك بين الأسيرات على الرغم من اختلافاتهن التنظيمية: "بَلَّشت الأسيرات تصيغ بالتجربة حتى كمان مع بعض ومِشْ مع بعض، تنظيمات منفصلة وبنفس الوقت مع بعض. كانت طبيعة الهجمة داخل الأسر تأثر عليهم وعلى وحدتهم وهاد مهم. في الصراع نحن نتوحَّد. هاي مسألة بديهية. أساساً شو اللي بخلِّي عندِك هوية وطنية وحركة أسيرة واحدة؟ الصراع—الصراع مع النقيض، صراع الوجود بصير يخليكي تدَّوري عَ المشترك: المشترك إنه إحنا فلسطينية، والمشترك إنه إحنا رحنا عالكفاح المسلَّح، والمشترك إنه إحنا جزء من ثورة فلسطينية، والمشترك إنه أمامنا عدو واحد، والمشترك كمان طبقي... وإلى آخره."[165]

إن القرارات الجذرية التي اتخذتها الأسيرات بالانفصال عن قرارات الأسرى أو قطع العلاقات معهم

تؤكِّد على موقف مبدئي من الاستقلالية، تلك الاستقلالية المنتزَعة والتي تتناسب مع واقع الأسيرات وممارستهن لآليات اتخاذهن للقرار بشكل ديمقراطي تشاركي وثوري جريء، في تحدٍّ للسلطة الأبوية الذكورية لمتَّخذي القرارات من قبل السلطة الفلسطينية، تحديداً، والتي رضيت بها للأسف قيادة الحركة الفلسطينية الأسيرة من الرجال، أحياناً، ولكن في أكثر محطات تاريخنا الوطني خطورة، عند توقيع اتفاقية أوسلو. وقد انعكس موقف الأسيرات على موقف ذويهن والمتضامنين معهن في احتجاج الأسيرات داخل مقرّ الصليب الأحمر في القدس، حيث قام المتضامنون بطرد ممثِّلي السلطة الفلسطينية من الاعتصام في العام 1996.

1.7 الإضراب السياسي التاريخي 1995

وقِّعت اتفاقية القاهرة "غزة-أريحا أولاً" بتاريخ 4 أيار 1994 دون أن تتطرَّق إلى بند يتضَّمن الإفراج عن الأسيرات والأسرى، ما دفعهم إلى خوض إضراب جماعي عن الطعام بتاريخ 20 حزيران 1995 تحت شعار الإفراج عن "الأسرى دون قيد أو شرط". وقد أعلم الأسرى والأسيرات إدارة السجون بأن هذا الإضراب هو إضراب سياسي وموجَّه للمفاوضين، واستمرَّ إضراب الأسيرات عن الطعام 19 يوماً، في حين أوقف الأسرى في كافة السجون إضرابهم في اليوم 16 للإضراب.[166] وقد كان استمرار الأسيرات بالإضراب 3 أيام إضافية تعبيراً عن غضبهن من الأسرى الذين استجابوا لوعود شفوية من ممثلين عن السلطة الفلسطينية تنصُّ على وقف الإضراب مقابل تضمين قضية الأسرى في الاتفاقيات ووضع جداول زمنية للإفراج عنهم،[167] ذلك أن الأسيرات اعتبرن أن الوعود الشفوية غير كافية ما لم تتضمَّن بنداً واضحاً مكتوباً يضمن الإفراج عنهن.[168]

بعد اتفاقية طابا الموقعة بتاريخ 28 أيلول 1995، توالت الأخبار عن أنه سيتمُّ الإفراج عن جميع الأسيرات، وتمَّ بالفعل إعلامهن من قبل كلٍّ من مروان البرغوثي وفاطمة البرناوي، اللذين زارا الأسيرات في حينه، مؤكِّدَين لهن أنه سيتمُّ الإفراج عن جميع الأسيرات في يوم واحد، حيث قال البرغوثي مخاطباً الأسيرة لمياء معروف: "هاتف أبو عمار أهلك في البرازيل وأخبرهم أنك ستكونين عندهم يوم الأحد."[169] وفي اليوم التالي تفاجأت الأسيرات حين سمعن عبر الإذاعة أن الكنيست "الإسرائيلي" قد أقرَّ التوقيع على اتفاقية طابا، وأن رئيس الوزراء قد وقَّع على ملفات الأسيرات المنوي الإفراج عنهن باستثناء 5 أسيرات، وهن: لمياء معروف، وعطاف عليان، وعبير الوحيدي،

ورلى أبو دحو، ومي الغصين.[170]

عُقد اجتماع طارئ للأسيرات، وتمَّ استثناء الأسيرات اللواتي لن يُفرج عنهن وذلك لضمان "عدم تضارب المصالح"، وخرجت الأسيرات (اللواتي كان من المقرَّر أن يُفرج عنهن) بقرار جماعي بعدم التوقيع على أوراق الإفراج عنهن ما لم تشمل جميع الأسيرات. وقد صوتت جميع الأسيرات على قرار "إما الإفراج عن كل الأسيرات أو لا". دبَّت الحياة بين الأسيرات وعادت الجلسات الثقافية للانعقاد، واستكملت امتحانات التوجيهي والجامعة لمن رغبن في ذلك للاستفادة من الوقت الذي سيقضينه في السجن. وبعد تهديدهن من قبل إدارة السجن بإخراجهن بالقوة، اتخذت الأسيرات الخطوة الثورية الدراماتيكية وهي الاعتصام معاً في غرفتين وإغلاق أبواب الزنزانتين لمنع إخراجهن بالقوة.[171] وفي هذا المقام، تساءل الجميع ولا يزالون: أيُّ قوة تضامنية تلك التي تجعل أسيرات محكومات سنوات طويلة وتبقَّى لهن سنوات طويلة كذلك يقضينها في السجن يرفضن الخروج إلى الحرية ويتركن رفيقاتهن الخمسة في السجن؟ لا شكَّ أنه من الصعب تخيل حصول ذلك، لكنه حصل بالفعل من قبل الأسيرات الفلسطينيات.

اتخذ الاحتجاج شكل الرفض للحرية المنقوصة بأن تكدست الأسيرات في غرفتين بعضهن فوق بعض (غرفة 1 وغرفة 18)، حيث جمعت الأسيرات سريعاً ما لديهن من طعام ومواد غذائية استعداداً لاعتصام طويل، وقطعت إدارة السجن عنهن الماء والكهرباء. وقد أشارت الأسيرة مي الغصين، التي شاركت في هذا الاعتصام حياة الأسيرات، أن الحياة داخل سجن "تلموند" للنساء تميَّزت بتنظيم عالٍ بين الأسيرات، وابتداع أشكال من المقاومة الداخلية، إضافة إلى إبداعاتهن التي عززت جماعيَّتهن من خلال الغناء المشترك، وتحدِّيهن لإرادة السجان وتصميمهن على الخروج إلى الحرية معاً. وبالفعل نجحت الأسيرات، وانتصرن في نهاية المعركة الطويلة والتي استمرت قرابة 16 شهراً، بالتحرر جميعاً ودفعة واحدة، حتى أنهن أصررن على أن يأخذن معهن أسيرات اعتقلن للتو إلى الحرية بتاريخ 11 شباط/ فبراير 1997.[172]

شكَّل هذا الإضراب التاريخي لحظة مفصلية في حياة الأسيرات من حيث الإصرار والتمرُّد على السجان، وتعليم درس للمفاوضين الفلسطينيين، والإصرار على التحرر الجماعي من الأسر، والآلية الديمقراطية التشاركية في اتخاذ القرارات. لقد كانت ممارسة جماعية ثورية على الرغم من الأمل

بالحرية لعدد من الأسيرات، لكنهن رفضن ذلك متمسِّكات بوحدة وترابط قوي فيما بينهن: "كان في وحدة مصير، ووحدة حياة، ووحدة مواجهة، وكنَّا مقتنعين فيها الكل"[173] استمرت حتى بعد الخروج من الأسر. لا نعتقد أن هناك ما شابه هذا الإضراب في التجارب العالمية والعربية من حيث التمسُّك بالحرية الكاملة غير المنقوصة تحت شعار "جميع الأسيرات أي جميعهن".

إن تجربة الأسيرات الفلسطينيات سواء في الإضرابات عن الطعام أو العمل أو الإضراب السياسي أو الإضراب عن الحرية المنقوصة، تمثِّل اختلافاً عن تجربة الأسرى الرجال في السجون "الإسرائيلية"، من حيث ردود الفعل المختلفة التي تظهر في التجربتين، وخاصة عندما تمُّ وعدهم بالإفراج خلال عملية السلام- أوسلو (1993-1999)، حيث وافقت "إسرائيل" على الإفراج عن عدَّة آلاف من السجناء، بما في ذلك الرجال والنساء. ومع ذلك، وبينما غادر بعض السجناء الرجال السجن حتى دون أن يودِّعوا زملاءهم، أصرَّت النساء على أن يغادرن سويةً ككتلة واحدة. إن هذه المقاومة الجماعية وسَّعت مفهوم الصمود، وهي بمثابة التزام بالعدالة الجماعية على حساب الحرية الفردية، وقد أظهرت تحولاً كبيراً من التفكير الفردي إلى التفكير الجماعي القائم على التضامن، وهو أمر ملحوظ بشكل خاص بين الأسيرات.[174]

لم تكن أفعال المقاومة من الأسيرات تتحدى الاحتلال الاستعماري فحسب، بل كانت تزعزع أيضاً المعايير الأبوية من خلال إظهار قوة العمل الجماعي على حساب الاستقلالية الفردية. إن إصرار النساء على انتظار الإفراج عن جميع زميلاتهن في السجن، على الرغم من المشاق التي تنطوي عليها هذه التضحية، هو شهادة على التضامن والوحدة القويين اللذين يتجاوزان الرغبات الفردية في الحرية، ويُظهران التزاماً عميقاً بالتحرير الوطني الجماعي.[175] ليس هذا وحسب، بل إن التمرُّد على القرارات الذكورية، المملاة من السلطة السياسية، التي حاول الأسرى فرضها على الأسيرات تعكس قناعة وممارسة فكرية بأن النساء قادرات على التقرير في شؤونهن بعيداً عن الوصاية الذكورية التي سعى الأسرى لاستخدامها تمثلاً للتقاليد الاجتماعية الذكورية، التي تعتبر النساء خاضعات لقرارات الرجال. وقد أثبتت الأسيرات أنهن قادرات على تخطي هذه الوصاية من خلال طلب الانفصال عن قرارات الأسرى وعدم الالتزام بمواعيد فكِّ الإضرابات عن الطعام التي قرَّرتها سجون الأسرى، وقادرات على تشكيلهن لنموذج احتجاجي تضامني وطليعي نجح في إطلاق سراح جميع الأسيرات في العام 1997.

وقد تحدثت عن هذا الموضوع الأسيرة السابقة رلى أبو دحو بوعي واضح، في وصفها للبنية الأبوية التي تساهم في تحييد دور النساء وحصر همومها بالمنظومة الحقوقية فقط، قائلة: "لأنه البنية الأبوية المختلطة بالتقدُّمية والطبقية، بالآخر بقولولهم روحوا على الدار، والأقرب لذلك التجربة الجزائرية، قديش عانت نساء الجزائر بعد الثورة وحتى الثوار عانوا وكلنا بعرف كتاب **الشهداء يعودون هذا الأسبوع**. كمان احنا اطلَّعي على جزئية حتى لو احنا ما اتحررناش، حتى في مفهوم التحوُّلات السياسية للحركة الثورية الفلسطينية، اطلَّعي شو صار في النساء في أوسلو مهن اتمرمطن، نساء التنظيمات تنظيمات السلطة يعني اللي راحوا على أوسلو صار همهم أكم امرأة توصل لصنع القرار."[176] إن ذلك يعكس وعياً وممارسة تتخطى حواجز الأسر في النظر إلى مسألة تحرر النساء في إطار نضالهن للتحرر من الاستعمار الاستيطاني، حيث الربط الجدلي ما بين التحرر الوطني والاجتماعي.

إن ما تم عرضه حتى الآن، يتناول الممارسة الجماعية للاحتجاج سواء بالإضراب عن الطعام أو العمل أو عن الحرية المنقوصة، أو بالإضرابات السياسية، ويُظهر أن الإضراب والاحتجاج هما عملية تعليمية وتثقيفية وممارسة أيضاً، بمعنى أنهما مقاومة جماعية ثورية ترجمت معاني النسوية بالممارسة. وفي هذا السياق، أشارت الأسيرة السابقة مي الغصين إلى أنه "قبل بدء الإضراب يصبح السجن خلية نحل. تبدأ جلسات التوعية بالإضراب والمراحل الجسدية التي يمر بها المضربون، وإرشادات وتعليمات يجب التقيد بها أثناء الإضراب، وخطط بديلة في حال تمَّ عزل قيادات السجن وتهيئة الأهل بهذا الخصوص،"[177] أي أن الأسيرات يتهيأن للإضراب كما الاستعداد لمعركة طويلة من أجل الانتصار.

وفي تحليل شويخ لتجربة الأسيرات في الإضراب عن الطعام، تعتبر أن فعل الإضراب عن الطعام لا يقتصر على مقاومة السيطرة الاستعمارية فقط، بل يشمل مواجهة المعايير الأبوية داخل المجتمع، وتدعو إلى الوضوح والوعي للطبيعة الاستعمارية والعنصرية للاضطهاد، والعنف القائم على النوع الاجتماعي الذي يواجهه الفلسطينيون خاصة النساء. وتعتبر شويخ أن الصمود في المواجهة غير كافٍ، بل يجب التركيز على الظروف التي تستدعي الصمود، وهي بذلك تدعو إلى إعادة تصور العدالة والمقاومة الجماعية من خلال إتاحة المجال للمضطَّهَدين لإعادة تعريف مقاومتهم وعدالتهم بأنفسهم، وضرورة دعمهم في نضالهم من أجل العدالة والكرامة. كما وتدعو إلى نقد وجود السجون التي تعتبرها مؤسسات عنيفة تستخدمها الأنظمة الاستعمارية من أجل السيطرة في المجتمعات

الاستعمارية و وجوب العمل على إلغائها.[178]

مع اتفاقنا على هذا التحليل الذي ساقته شويخ بالربط بين السجون الاستعمارية والعنف والسيطرة، والدعوة إلى إلغائها، فإن النظرة الأوسع تشمل تحطيم البنية الرأسمالية الاستعمارية الإمبريالية عبر نضال واحد لقوى التحرر في العالم. وقد جاءت دعوة آنجيلا ديفيس وآخرين إلى بناء عالم خالٍ من الشرطة والسجون من خلال تحطيم البنية الرأسمالية العنيفة والدعوة إلى بناء عالم نسوي متحرر،[179] كفهم شامل للنضال ضدَّ الأسس التي أوجدت المنظومة القمعية والمتمثلة هنا في السجون كأحد أدوات النيوليبرالية.[180] لقد أظهرت الممارسة الجماعية للإضراب عن الطعام، وغيره من أشكال الاحتجاج، مقاومة جماعية ثورية ترجمت معاني النسوية بالممارسة كما سبقت الإشارة لها، وكما وصفتها الأسيرات السابقات في الحواريات التي شاركن بها. وكما أشرن إلى كيفية مواجهة العنف، إذ إن قمع السجانة والسجان يقابله قوة نسوية تضامنية عالية التنظيم وصلبة الإرادة.

2.7 الإضرابات الفردية والحزبية عن الطعام

عكست الإضرابات الفردية عن الطعام في السجون "الإسرائيلية" طبيعة المرحلة السياسية التي رافقت ظهورها، وقد اتَّسمت هذه المرحلة بتراجع دور التعبئة السياسية الجماعية التي رافقت نضال الأسيرات والأسرى داخل السجون قبيل اتفاق أوسلو، وشكَّلت تعارضاً لما رافق الإضرابات الجماعية من انعكاس لدور الأحزاب والتنظيمات في التعبئة السياسية الجماعية، ما دفع عدداً من الأسرى والأسيرات إلى خوض الإضرابات الفردية عن الطعام. وكذلك، فقد قامت بعض التنظيمات السياسية بخوض إضرابات حزبية خاصة بكل تنظيم (ضدَّ سياسة الاعتقال الإداري في العام 2011 وضدَّ سياسة العزل في العام 2012)، ما أظهر تراجعاً بالتعبئة السياسية الجماعية التي كانت تربط بين النضال داخل السجن وخارجه.. وقد اختلفت الاجتهادات بين فريقين: فريق يؤيِّد الإضرابات الفردية التي اعتبرها من خاضها بأنها البديل المتوفِّر للاحتجاج على سياسات مصلحة السجون الصهيونية وإجراءاتها، وبشكل خاص سياسة الاعتقال الإداري كاعتقال تعسُّفي، في ظل غياب توافق جماعي سبَّبه الضعف الذي مسَّ الروح الجماعية التي اتَّسمت بها الخطوات الاحتجاجية في سنوات سابقة لاتفاق أوسلو (باستثناء الخطوة الجماعية للأسيرات في العام 1995 بإضرابهن من أجل الحرية الشاملة لهن جميعاً)، وفريق يرى أن خطوة الإضرابات الفردية للأسرى

تضعف النضال الجماعي التضامني مع المطالب الجماعية للأسيرات والأسرى.

وقد خاض العديد من الأسرى الفلسطينيين الإضراب الفردي عن الطعام، وكان أكثرهم شهرة الشهيد خضر عدنان[181] الذي صُنِّف على أنه أول أسير خاض الإضراب عن الطعام، بينما المعلومات المتوفرة أثناء إعداد هذا البحث تشير إلى أن الأسيرتين عطاف عليان ومنى قعدان كانتا الأوليين بين جموع الأسرى والأسيرات ممن خاضوا الإضراب الفردي عن الطعام. فشاركت الأسيرات في الإضرابات الفردية عن الطعام، وكانت عليان أول من أضربت فردياً عن الطعام بين الأسيرات الفلسطينيات في السجون "الإسرائيلية" لمدة 12 يوماً في العام 1987، وخاضت أكثر من 3 إضرابات فردية كان أطولها في أيلول 1997، حينما أعيد اعتقالها بعد الإفراجات الجماعية للأسيرات. وفي أيلول 1997 أُعيد اعتقال عليان مرة ثانية بعد 8 أشهر من إطلاق سراحها الذي أمضت فيه 10 سنوات، حيث تمَّ وضعها رهن الاعتقال الإداري، وفيه أعلنت إضرابها الثاني عن الطعام لمدة 40 يوماً احتجاجاً على اعتقالها التعسفي.[182] أما منى قعدان، فقد خاضت إضراباً فردياً عن الطعام أثناء التحقيق العسكري معها في العام 1999 لمدة 37 يوماً. وأضربت هناء شلبي في العام 2012 ضدَّ اعتقالها الإداري وأُبعدت خلاله إلى قطاع غزة بناءً على رغبتها لتنضمَّ إلى خطيبها الموجود هناك.

وقد تحدَّثت عليان عن تجربتها الأولى في التحقيق في سنة 1987 أثناء مشاركتها الحوارية مع عدد من الأسيرات اللواتي اعتقلن في الفترة نفسها. وصفت عليان تعذيبها أثناء التحقيق معها والذي تمثَّل بنزع حجابها وتمزيق جلبابها، والتهديد بإحضار أخيها الصغير وأختها اللذين اعتقلوهما لمدة 12 يوماً للضغط عليها. كما قام المحقِّق بكسر أسنانها من خلال ضربها بكوب الشاي الذي كان يرتشفه. ومباشرة أعلنت عليان الإضراب عن الطعام وعن الكلام احتجاجاً على ذلك التصرف من المحقق. تقول عليان: "مسك المَغ [أي الكوب] وضربه على تمي، وكسر اسناني، وأنا الضربة مفاجئة، وأنا اطلعت هيك وسكتت لا من تمّي ولا من كمّي، وأنا أعلنت الإضراب عن الطعام والكلام والشراب."[183] وقد استمر إضراب عليان عن الطعام لمدة 12 يوماً. لقد كان التحقيق معها قاسياً، وتمَّ استخدام العنف الجنسي والجسدي، إذ بالإضافة إلى نزع الحجاب عن رأسها وتمزيق جلبابها، تمَّ تهديدها بالاغتصاب، كما استخدم معها التعذيب الجسدي العنيف والضرب.[184] لم تملك عليان إلا الصمود في وجه المحقِّق وعدم الإدلاء باعتراف على الرغم من وجود اعتراف عليها من أحد الأسرى الرجال، لكنها صمدت، وواجهت التعذيب العنيف بالإضراب عن الطعام

والكلام. وقد شكَّل إضرابها صرخة قوية على الاحتجاج ورفض التعذيب أمام الرجل المستعمِر، وألهمت تجربتها بالصمود والإضراب عن الطعام والكلام أسيرات أخريات مثل قعدان وشلبي.

في سنة 1999 اعتقلت قعدان[185] من بلدة عرابة قضاء جنين، وخضعت لتحقيق عنيف يُسمَّى "التحقيق العسكري"، يتيح للمحققين استخدام وسائل أكثر عنفاً دون قيود أو رقابة وبإذن قضائي. وقد استخدم معها المحققون الأساليب العنيفة، الجسدية منها والنفسية، وتمَّ شبحها وربط يديها إلى الخلف لساعات طويلة وهي مكبَّلة على كرسي التحقيق، كما تعرَّضت للضرب العنيف، وللتحرُّش الجنسي. وفي إحدى جولات التحقيق التي تصادفت مع عيد ميلادها، قام المحقِّق برسم فتاة عنقها جميل وطويل دون حجاب وألبس العنق المرسوم عقداً جميلاً، وأخبرها أن هذه هدية لها في عيد ميلادها. قد تبدو الخطوة جميلة في ظلِّ العنف الذي تواجهه في غرفة التحقيق، لكن بالنسبة لقعدان شكَّلت هذه "الهدية" استفزازاً كبيراً حين شعرت أنه قد تمَّ مسُّ خصوصيتها، فهي امرأة محجبة وتقبع في زنزانة تحقيق عسكري. تقول قعدان: "شعرت وكأنه يغتصبني". لم تظهر قعدان للمحقِّق هذا الشعور على الرغم من أثره الداخلي الكبير عليها. وقد استمرت في إضرابها عن الطعام لمدة 37 يوماً، الأمر الذي استلهمته من إضراب رفيقتها عليان التي التقتها في العام 1997 إلى أن تحقق مطلبها بالإفراج عنها.[186]

في العام 2012 أعلنت شلبي إضرابها عن الطعام الذي استمر 44 يوماً، وذلك احتجاجاً على اعتقالها الإداري (التعسفي) مطالبةً بإنهائه والسماح لها بالمغادرة إلى قطاع غزة لتلتحق بخطيبها المقيم هناك حيث لا يُسمح للفلسطينيين بالتنقُّل بين الضفة الغربية وقطاع غزة التي تعيش في سجن كبير محاصر منذ عشرين عاماً.[187] وقد رافق إضرابها المفتوح عن الطعام إضراب والديها عن الطعام في خيمة نصبت أمام بيتها في برقين، قضاء جنين، حيث شهد إضرابها حملة تضامن شعبية واسعة. وكانت شلبي قد أعيد اعتقالها لمدة شهرين بعد تحررها في صفقة وفاء الأحرار (شاليط) في العام 2011، وكانت أمضت حوالي سنتين في الاعتقال الإداري. وقد استلهمت شلبي العزيمة على إضرابها عن الطعام من الأسير خضر عدنان (الذي استشهد في 2 أيار/ مايو 2023 خلال إضرابه الأخير عن الطعام)، وكانت الأسيرة عليان استلهمت الكثير منه خلال إضراباتها عن الطعام.

لقد كان استلهام التجارب، سواء بالصمود أو بالاحتجاج أو بالإضراب عن الطعام، هو أحد نقاط

قوة الأسيرة، والاستلهام إما من زميلات أو زملاء سابقين في الأسر، أو من تجارب حركات تحرر عالمية كانت أحد عوامل القوة في مواجهة عنف المستعمِر داخل الأسر بوصفها تجربة تمَّ تعلُّمتها بالممارسة. كما رافق إضرابات الأسيرات عن الطعام حملات تضامنية شعبية خارج أسوار السجن من خلال الاعتصامات والندوات التي سلَّطت الضوء على اعتقال النساء الفلسطينيات وتعرُّضهن للتعذيب والاعتقال الإداري كاعتقال تعسُّفي. ولا شكَّ أن حدود وتأثير الإضراب عن الطعام كأحد أشكال المقاومة تجاوزت أسوار السجن وتركت أثراً في الجماهير وحرَّكت المقاومة خارج السجن كترجمة ملموسة لفهم أن المقاومة والاحتجاج داخل الأسر هي عملية مرتبطة بالنضال التحرري لشعب يرزح تحت الاستعمار. لكن يبقى السؤال هنا، بطبيعة الحال، ماثلاً حول نجاعة الإضرابات الفردية والحزبية التي أظهرت تراجعاً عن الفهم الجماعي للاحتجاج المرتبط بتراجع دور أحزاب حركة التحرر الوطني الفلسطيني بعد مؤتمر مدريد واتفاقية أوسلو.

8. خاتمة

اتخذ الاحتجاج والتمرُّد داخل الأسر أشكالاً متعدِّدة ومتنوعة من الرفض للمنظومة الاستعمارية والاستبدادية أهمها الإضراب عن الطعام، وهو مقاومة تستند إلى الجماعية وفهم ارتباط النضال داخل السجن وخارجه في علاقة ديالكتيكية. والاحتجاج جزء من نضال الشعوب المستعمَرة والمضطَهَدة، إذ هو نضال ضمن مشروع سياسي متكامل يسعى إلى التحرر السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وفي نموذجه الذي استعرضناه في هذا البحث، وبشكل خاص تجربة الأسيرات، تحدٍّ للهياكل الطبقية والأبوية الرأسمالية التي تمارس العنف بحقّ المناضلات والمناضلين بأدوات متشابه. وكما تتشابه أدوات القمع في التجارب المختلفة، تتشابه أيضاً أدوات مواجهتها، ودوافع هذه المواجهة، ودور التعبئة السياسية كأهم مكوِّن في صياغة التجربة وتتبع تطورها.

لقد لعبت النساء دوراً بارزاً ومتميزاً في تلك التجارب التي جرى في بعض الأحيان تغييبها لعقود كجزء من المنظومة البطريركية الرأسمالية، كما ساهم عامل قلَّة عدد الأسيرات مقارنة مع عدد الأسرى، وتجمُّع الأسيرات في سجن واحد أو سجنين على الأكثر، في عدم إبراز هذه التجارب كما تستحق. وقد شكَّلت التجربة النسوية داخل السجن وفي زنازين التحقيق تمثيلاً لمقاومة تحررية ارتبطت بالممارسة المستندة إلى وعي وقناعات نظرية بأهمية الفعل المقاوم وقدرته على إحداث التغيير. وقد كان هذا ما شكَّل مفاهيم نسوية تحررية بالممارسة، نحو: مفهوم التحدِّي والصمود، وكسر مفاهيم وتصورات اجتماعية نمطية وتقليدية لمشاركة النساء في النضال، وصياغة مفاهيم تقدُّمية بديلة تتحدَّى الاستعمار والسلطة الأبوية في آنٍ معاً.

وفيما انحصرت الكتابات عن تجربة الاحتجاج والإضراب عن الطعام على مقاومة الجسد وحسب استناداً لكتابات تأسيسية غربية بشكل أساسي، فقد جادلت هذه المطالعة بأن الاحتجاج هو جزء من النضال السياسي الجمعي للمناضلين والمناضلات ضدَّ الأنظمة الاستعمارية والاستبدادية الرأسمالية—النضال الذي يتطور بالربط بين النظرية والممارسة.[188] كما أن شكل الفعل الاحتجاجي ارتبط بطبيعة المرحلة التاريخية التي وقع فيها الاحتجاج، ما جعل النضال داخل السجن جزءاً لا يتجزأ من مشروع سياسي تاريخي أكبر في مواجهة الرأسمالية الاستعمارية العنصرية تشارك فيه النساء والرجال في صف واحد. وبهذا المعنى، فإن النضال داخل الأسر هو مقاومة نسوية تحررية

حاول هذا البحث الإضاءة عليه من خلال دراسة التجربة الفلسطينية في مواجهة المنظومة السجنية الصهيونية، وبالمقارنة مع تجارب عربية وغربية، أبرزها التجربة المغربية والتجربة الأيرلندية.

الإحالات

[1] جميل هلال، **تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى قيام السلطة الوطنية** (رام الله: مواطن—المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2002)، 15-16.

[2] المصدر نفسه، 42.

[3] "الحوارية" هي لقاء ونقاش جماعي بين عدد من الأسيرات اللواتي اعتقلن في مرحلة زمنية متقاربة، تمَّ في اختيارها مراعاة التنوُّع الجغرافي والتنظيمي للأسيرات السابقات، وبلغ عدد الأسيرات في كل حوارية بين 3-6.

[4] يواجه هذا البحث صعوبة بعد حرب الإبادة في استكمال الحواريات مع أسيرات غزة، وسيتمُّ العمل على إيجاد طرق تمكنُّ من استكمال الحواريات والمقابلات معهن. وهذا ينطبق بدرجة أكبر، بطبيعة الحال، على الأسيرات اللواتي لا زلن في السجون حتى الآن.

[5] عطا القيمري، **السجن ليس لنا** (سجن نفحة: د.ن، 1985)، 222.

[6] المصدر نفسه، 82.

[7] روز ماري صايغ، **الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع إلى الثورة**، ترجمة خالد عايد (القدس: منشورات صلاح الدين، 1983)، 2.

[8] هلال، مصدر سبق ذكره، 42.

[9] Laleh Khalili, "The Location of Palestine in Global Counterinsurgencies," *International Journal of Middle East Studies*, Vol. 42, No. 3 (2010): 413-433, 419–420.

[10] سعيدة المنبهي، مناضلة يسارية وشاعرة مغربية، تُعَدُّ أول شهيدة للإضراب عن الطعام في الوطن العربي. اعتُقلت بتاريخ 16 كانون الثاني 1976 في سجن سرِّي في المغرب. استشهدت في السجون المغربية في 11 كانون الأول 1977، بعد أن خاضت مع رفاقها ورفيقاتها الإضراب عن الطعام بتاريخ 18 تشرين الثاني 1977 للمطالبة بالاعتراف بهم كسجناء سياسيين ولتحسين ظروفهم الحياتية وإنهاء عزلهم. كانت المنبهي عضوة في منظمة "إلى الأمام" الماركسية التي كانت تناضل ضدَّ الاستبداد في المغرب. للمزيد، انظر: إدريس ولد القابلة، "سعيدة المنبهي... امرأة أحبَّت الضوء،" **هيربرس**، 26 آب 2011، شوهد 15 آب 2026. https://www.hespress.com/59464-سعيدة-المنبهي-امرأة-أحبت-الضوء.html.

[11] ديفيد هارفي، **الليبرالية الجديدة: موجز تاريخي**، ترجمة مجاب الإمام (الرياض: العبيكان للنشر، 2008)، 14.

[12] المصدر نفسه، 14.

[13] رنا بركات، "الاستعمار،" في **أبجديات تحررية فلسطينية**، معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان في جامعة بير زيت، 23 أيلول 2021، شوهد في 15 آب 2026.

https://muwatin.birzeit.edu/ar/pea/colonialism.

[14] Angela Davis, "On Palestine, G4S, and the Prison-Industrial Complex," lecture at SOAS University of London, 2013; Angela Davis, *Freedom Is a Constant Struggle: Ferguson, Palestine, and the Foundations of a Movement* (Chicago: Haymarket Books, 2016), 51.

[15] Khalili, op. cit., 413–433.

[16] Alan Feldman, Formations *of Violence: The Narrative of the Body and Political Terror in Northern Ireland* (Chicago: University of Chicago Press, 1991), 246- 247.

[17] الأسير فؤاد اللحام، سجن نابلس المركزي 1981، شارك في هذا الإضراب، وأفاد بأن الأسرى الفلسطينيين أعلنوا إضراباً عن الطعام استمر لمدة 3 أيام في مختلف السجون تضامناً مع إضراب الأسرى الإيرلنديين.

[18] أشجان عجور، "الإضراب عن الطعام وتسليح الجسد: فلسطين وتجارب عالمية،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 133 (2023): 169-188.

[19] Naïma Hachad, "The Rise of a Feminist Consciousness in Saïda Menebhi's Prison Writings," in *Revisionary Narratives: Moroccan Women's Auto/biographical and Testimonial Acts, Vol. 64* (Liverpool: Liverpool University Press, 2019), 27.

[20] Ibid.

[21] "Hunger Strike for Dignity" عن صفحة مؤسسة الضمير على الفيس بوك، بتاريخ 25 تشرين الأول 2023.

[22] Daniel Teehan, "How British Hunger Strikers Scored a Victory for Palestine," *Current Affairs*, 27 January 2026, accessed 15 August 2026. https://www.currentaffairs.org/news/how-british-hunger-strikers-scored-a-victory-for-palestine.

[23] Ibid.

[24] هارفي، مصدر سبق ذكره، 14.

[25] فرانز فانون، **معذبو الأرض**، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي (بيروت: دار القلم، 1961)، 106-107.

[26] عبد الرحيم الشيخ، "الشهداء يعودون الى رام الله "، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 133 (2023): 128-155، 130.

[27] Hanane Elaissi, "The Rise of Feminist Consciousness in Morocco during the Lead Years," *International Journal of Education and Research*, Vol. 3, No. 2 (2015),658 ,657-666 .

[28] Ibid.

[29] Ibid., 660.

[30] Hachad, op. cit., 27.

[31] Nadia Guessous, *Women and Political Violence during the Years of Lead in Morocco* (Rabat: The Moroccan Advisory Council on Human Rights in Partnership with the United Nations Development Fund for Women, 2009), 53.

[32] ولد القابلة، "سعيدة المنبهي" مصدر سبق ذكره.

[33] شيرين صيقلي، **رجال المال: الندرة والاقتصاد في فلسطين في إبان الانتداب** (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية،

.3 ،(2025

[34] Khalili, op. cit.

[35] Mimi Cabell, Samir Harb, and Nicola Perugini, *Morbid Symptoms: Interregnum and Loops of Authority in the Muqata'as* (Ramallah: Sharjah Biennial 13, 2017).

[36] Khalili, op. cit.

[37] Ian Miller, *A History of Force-Feeding: Hunger Strikes, Prisons and Medical Ethics, 1909–1974* (Cham: Springer Nature, 2016), 8–10.

[38] Feldman, op. cit., 152-154.

[39]Ibid., 176-185.

[40] Ibid., 219-220.

[41] Ibid., 247.

[42] Lachlan Whalen, "A Womanish Thing": The Price Sisters and the Gendered Dimensions of Irish Republican Hunger Strikes in England, 1973–74," *New Hibernia Review*, Vol., 23, No. 2 (2019): 95-113.

[43] Ibid., 99-100.

[44] Ibid., 101.

[45] Ibid.

[46] Ibid., 111.

[47] Ibid.

[48] سجن أرماغ Armagh تمَّ بناؤه في القرن الثامن عشر في أيرلندا من قبل القوة الاستعمارية البريطانية، وخُصص لاعتقال الأسيرات الأيرلنديات، وشهد احتجاجات عديدة، وأغلق في العام 1986.

[49] Philomena Gallagher, "Women Imprisoned as a Result of the Struggle," *Canadian Woman Studies/ les cahiers de la femme*, Vol. 17, No. 3 (1997): 5252 ,56-.

[50] Ibid.

[51] Ibid., 53.

[52] Ibid.

[53] Ibid.

[54] Ibid.

[55] Ibid., 54.

[56] Begoña Aretxaga, "Dirty Protest: Symbolic over Determination and Gender in Northern Ireland Eth-

nic violence," *Ethos*, Vol. 23, No. 2 (1995): 123-148.

[57] Ibid., 127.

[58] Ibid., 132.

[59] Ibid.,145.

[60] Julie M. Norman, "Palestinian Prisoners' Movement and Everyday Resistance," *Journal of Resistance Studies*, Vol. 6, No. 1 (2020): 40-68.

[61] للمزيد حول فاعلية الأسرى وتمردهم على المنظومة السجنية من خلال التعليم الجامعي في سجن "هداريم"، انظر: قسَم الحاج، "جامعة السجن في 'هداريم': استئلاف الموحش وفقه البقاء،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 135 (2023): 130- 107.

[62] Anna Johansson and Stellan Vinthagen, *Conceptualizing "Everyday Resistance": A Transdisciplinary Approach* (New York: Routledge, 2020); Anna Johansson and Stellan Vinthagen, "Dimensions of Everyday Resistance: An Analytical Framework," *Critical Sociology*, Vol. 42, No. 3 (2016): 417–435.

[63] Norman, op. cit.

[64] عجور، مصدر سبق ذكره، 169.

[65] Malaka Shwaikh, "Engendering Hunger Strikes: Palestinian Women in Israeli Prisons," *British Journal of Middle Eastern Studies*, Vol. 49, No. 4 (2020): 507-525.

[66] Feldman, op. cit., 219- 234.

[67] Esmail Nashif, *Palestinian Political Prisoners: Identity and Community* (New York: Routledge, 2010), 67.

[68] Ibid., 68.

[69] القيمري، مصدر سبق ذكره، 218-219.

[70] المصدر نفسه، 222.

[71] المصدر نفسه، 223.

[72] المصدر نفسه.

[73] عائشة عودة، **أحلام بالحرية** (رام الله: مواطن-المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2007).

[74] عائشة عودة، **ثمناً للشمس** (رام الله: مواطن-المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2012).

[75] نادية الخياط، **احترقت لتضيء** (رام الله: منشورات وزارة الثقافة، 2021)؛ مي الغصين، **حجر الفسيفساء** (رام الله: بيت المقدس للأدب، 2021).

[76] سعاد غنيم، **ذاكرة القضبان** (عمان: دار دجلة، 2022).

[77] ابتسام أبو ميّالة، **العناق الأخير** (القدس: دار إلياحور للنشر والتوزيع، 2023).

[78] القيمري، مصدر سبق ذكره، 73.

[79] المصدر نفسه، 73.

[80] المصدر نفسه، 63.

[81] علي شواهنة، **معركة العهد والوفاء وقصة الانتصار داخل سجون الاحتلال.. إضراب الكرامة 2012** (غزة: مؤسسة مهجة القدس، 2012)، 14.

[82] منقذ أبو عطوان، **مأسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية 1967–2005** (جامعة بيرزيت: رسالة ماجستير، 2007).

[83] عيسى قراقع، **الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو 1993–1999** (جامعة بيرزيت: رسالة ماجستير، 2000). ويذكر أنه قد بدأ الإضراب بتاريخ 19 تموز 1973 واستمر 9 أشهر، وشمل امتناع الأسرى عن العمل، وعن حلق الذقن، وعن إرسال ملابسهم إلى مغسلة السجن، والامتناع عن إرسال الرسائل إلى عائلاتهم.

[84] استمر إضراب سجن عسقلان 64 يوماً، حيث امتنع الأسرى عن الطعام على مرحلتين يفصل بينهما شهر واحد: الأولى لمدة 45 يوماً، والثانية لمدة 19 يوماً. القيمري، مصدر سبق ذكره، 83.

[85] المصدر نفسه، 82.

[86] المصدر نفسه، 82-83. في السنة نفسها أنشأت ما تسمى بـ":وحدة حرس البوسطة"، وهي عبارة عن جهاز قمع خاص بالسجون يتكوَّن في حينه من 300 عنصر يرأسهم ضابط كبير يدعى "ياناي"، مهمتها الاعتداء بالضرب على الأسرى أثناء نقلهم للمحاكم أو المستشفى. المصدر نفسه، 111.

[87] قراقع، مصدر سبق ذكره.

[88] القيمري، مصدر سبق ذكره، 89.

[89] الشهيد إسحق مراغة من مدينة القدس استشهد بتاريخ 16 تشرين الثاني 1983 بتأثيرات إضراب سجن نفحة. للمزيد، انظر: عبد الناصر فروانة، "في ذكرى استشهاد الأسيرين حلاوة والجعفري"، *Palestine Behind Bars*، 20 تموز 2009، شوهد في 15 آب 2026.

https://www.palestinebehindbars.org/ferwana20t2009.htm.

[90] الشهيد راسم حلاوة من مواليد جباليا البلد في العام 1952. اعتقل سنة 1970، وحكم بالسجن مدى الحياة، واستشهد في إضراب نفحة بتاريخ 20 تموز 1980 إثر التغذية القسرية. والشهيد علي الجعفري من مواليد قرية رافات في العام 1946. هجِّرت أسرته في العام 1948 إلى مخيم الدهيشة في بيت لحم، واعتقل بعد إصابته في العام 1968، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة. استشهد إثر إضراب سجن نفحة بتاريخ 24 تموز 1980 بسبب التغذية القسرية. للمزيد، انظر: المصدر نفسه.

[91] الشهيد أنيس دولة من مدينة قلقيلية. اعتقل في 30 حزيران 1968، وحكم عليه بالسجن مدى الحياة، استشهد بتاريخ 31 آب 1980 بعد أن شارك في العديد من الإضرابات ومنها إضراب عسقلان إثر استشهاد المعتقلين (راسم حلاوة وعلي الجعفري) في إضراب سجن نفحة.

للمزيد، انظر: عبد الناصر فروانة، "استشهاد الأسير أنيس دولة،" **هيئة شؤون الأسرى**، 31 آب 2021، شوهد 15 آب 2026. https://cda.gov.ps/index.php/ar/83-fastnews/9337.4-41-

[92] الخياط، مصدر سبق ذكره، 91.

[93] Ian Miller, *A History of Force Feeding: Hunger Strikes, Prisons and Medical Ethics, 1909–1974* (Cham: Springer Nature, 2016), 7–12.

[94] للمزيد حول الإضرابات عن الطعام، انظر: وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا)، "تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية"، د. ت. شوهد في 15 آب 2026.

https://info.wafa.ps/pages/details/32928.

وهيئة شؤون الأسرى والمحررين، "تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية"، 28 أيار 2019، شوهد في 15 آب 2026.
.23-13-19-28-05-2019-https://cda.gov.ps/index.php/ar/ar-prisoner-movement/history-of-pri-m/6773

[95] منقذ أبو عطوان، **استغلال الأيدي العاملة الأسيرة في سجون الاحتلال الصهيوني** (رام الله: هيئة شؤون الأسرى والمحررين، 2006).

[96] حاتم الشنار، **خمس نجوم تحت الصفر** (رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، 2010)، 58.

[97] القيمري، مصدر سبق ذكره، 78.

[98] المصدر نفسه، 82.

[99] أبو عطوان، **استغلال الأيدي العاملة الأسيرة**، مصدر سبق ذكره.

[100] رُلى أبو دحو، **الحركة الفلسطينية الأسيرة 1967–1992: النضال من أجل الهوية الوطنية** (جامعة بيرزيت: رسالة ماجستير، 2014).

[101] أبو عطوان، **مأسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية 1967–2005**، مصدر سبق ذكره، 128.

[102] بتاريخ 14 آذار 1979 تمَّت عملية تبادل بين "إسرائيل" ومنظمة التحرير الفلسطينية، سمِّيت بـ"عملية النورس"، وتمَّ بموجبها إطلاق سراح 76 أسيراً بينهم 12 أسيرة فلسطينية. وكالة الأنباء الفلسطينية وفا، "أسيرات محررات في عمليات التبادل"، د. ت.، شوهد في 15 آب 2026.

https://info.wafa.ps/pages/details/32980.

[103] تمَّت عملية التبادل بتاريخ 20 أيار 1985 بين "إسرائيل" والجبهة الشعبية—القيادة العامة. للمزيد حول الأسيرات اللواتي تمَّ إطلاق سراحهن في عمليات التبادل، انظر: المصدر نفسه.

[104] خليل أبو عرام، **معركة الكرامة والشرف، بين شراسة الهجمة واسطورية الصمود وإنسانية الأهداف** (سجن نفحة: حقوق الطبع للمؤلف، 2006)، 15.

إضراب السجون في العام 1992 والذي عرف بـ"بركان أيلول" بدأ في 25 أيلول 1992، واستمر لمدة 17-19 يوماً بتفاوت بين السجون، وحقَّق فيه الأسرى عدَّة مطالب أهمها التعليم الجامعي في الجامعة العبرية، والمراوح، والبلاطة الكهربائية، وأجهزة التلفاز، وزيادة فترة زيارة الأهل، وإدخال الأطفال إلى الزيارة، وتحسين الغذاء كماً ونوعاً. للمزيد، انظر: الحاج، مصدر سبق ذكره.

[105] أبو عطوان، **مأسسة الحياة الاعتقالية**، مصدر سبق ذكره، 166.

[106] المصدر نفسه، 167.

[107] وليد دقة، **صهر الوعي: ما قبله وما بعده** (القدس: دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي، 2026).

[108] شواهنة، مصدر سبق ذكره، 149. بدأ الإضراب بتاريخ 17 نيسان 2012، واستمر لمدة 28 يوماً، وشارك فيه 1600 أسيراً وأسيرة واحدة (هي لينا الجربوني) في سجن "هشارون"، ولم تشمل المشاركة كافة الأسرى والتنظيمات. نجح الإضراب في إخراج الأسرى من أقسام العزل.

[109] من ملاحظات الباحثة التي شاركت في متابعة الإضراب عن الطعام.

[110] بيان صادر عن "لجنة الطوارئ الوطنية العليا للحركة الوطنية الأسيرة" للإعلان عن بدء إضراب قادة الحركة الأسيرة عن الطعام، بتاريخ 19 آذار 2023.

[111] أماني سراحنة، "إبادة غير مرئية: تقرير عن أحوال الأسرى الفلسطينيين خلال الحرب،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 137 (2024): 109-116.

[112] ميشيل فوكو، **المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن**، ترجمة علي مقلد (بيروت: مركز الإنماء القومي، 1990)، 210–212.

[113] مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، **نقطة سكون في عالم متحرك: تقرير حول الحيز المكاني في السجون** (رام الله: مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان، 2023).

[114] القيمري، مصدر سبق ذكره، 216.

[115] Shwaikh, op. cit.

[116] رلى أبو دحو، **مقابلة**، بيرزيت، 29 تشرين أول 2025.

[117] Shwaikh, op. cit.

[118] أبو دحو، **الحركة الفلسطينية الأسيرة**، مصدر سبق ذكره.

[119] وليد الفاهوم، **طيور نفي ترتسا** (الناصرة: مكتبة الفاهوم، 1984).

[120] للمزيد حول الوعي الطبقي، انظر: جورج لوكاش، **التاريخ والوعي الطبقي**، ترجمة حنا الشاعر (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، 1983).

[121] Whalen, op. cit.

[122] عائشة عودة، **ثمناً للشمس** مصدر سبق ذكره 59.

[123] المصدر نفسه، 60.

[124] المصدر نفسه، 61.

[125] المصدر نفسه، 64.

[126] Mustafa Abu Sheineh, "Beds, Kettles and Books: How hunger strikes changed the cells of Palestinian Prisoners," *Middle East Eye*, 1 May 2019, accessed 15 August 2026.
.Beds, kettles and books: How hunger strikes changed the cells of Palestinian prisoners | Middle East Eye

[127] فليتسيا لانغر، **بأم عيني** (القدس: منشورات صلاح الدين، 1975)، 380.

[128] المصدر نفسه.

[129] المصدر نفسه.

[130] المصدر نفسه، 382.

[131] Lena Meari, "Re-Signifying 'Sexual' Colonial Power Techniques: The Experiences of Palestinian Women Political Prisoners," *in Rethinking Gender in Revolutions and Resistance: Lessons from the Arab World*, eds. Maha El Said, Lena Meari, and Nicola Pratt (London: Zed Books, 2015).

[132] الخياط، مصدر سبق ذكره، 92.

[133] المصدر نفسه، 93.

[134] المصدر نفسه، 97.

[135] مي الغصين، **حجر الفسيفساء** (رام الله: مركز بيت المقدس، 2021)، 129.

[136] للمزيد عن قصص الأسيرات داخل السجن، انظر: قسَم الحاج، "أربع أسيرات، أربع محرّرات: قصص عن الحرية،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 128 (2021): 60-73.

[137] José Manuel and Liza R., "United States: Mass Incarceration, Mass Struggle," *In Defence of Marxism*, 11 December 2014, accessed 15 August 2026.
https://marxist.com/united-states-mass-incarceration-mass-struggle.htm.

[138] Ibid.

[139] Ibid.

[140] Davis, *Freedom Is a Constant Struggle*, op. cit., 51.

[141] الخياط، مصدر سبق ذكره، 83.

[142] سعاد غنيم، **ذاكرة القضبان** (عمان: دار دجلة، 2022)، 146.

[143] الفاهوم، مصدر سبق ذكره، 83.

[144] بدأ الإضراب عن العمل بتاريخ 14حزيران 1983 حتى آذار 1984 في سجن "نفي ترتسا"، وسبقه إضراب عن الطبخ للسجانات بتاريخ 10 أيار 1983. المصدر نفسه، 113-117.

[145] المصدر نفسه، 124.

[146] المصدر نفسه، 124.

[147] المصدر نفسه، 84.

[148] المصدر نفسه، 84.

[149] سهام برغوثي، **حوارية**، بيرزيت، 19 أيلول 2025.

[150] المصدر نفسه.

[151] الفاهوم، مصدر سبق ذكره، 86- 106.

[152] المصدر نفسه، 109.

[153] عبد الرحيم الشيخ، "الشهداء يعودون إلى رام الله"، مصدر سبق ذكره. وللمزيد حول "حالة النفق"، انظر: Abdul-Rahim Al-Shaikh, "Palestine: The Tunnel Condition," *Contemporary Arab Affairs*, Vol. 3, No. 4 (2010): 480-494.

[154] وليد دقة، "حكاية سرِّ الطيف: الشهداء يعودون إلى رام الله،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 139 (2024): 68-88.

[155] الطاهر وطَّار، **الشهداء يعودون هذا الأسبوع**، ط 2 (الجزائر: منشورات مطابع الحزب، 1980).

[156] الشيخ، "الشهداء يعودون إلى رام الله،" مصدر سبق ذكره، 130.

[157] انظر: وليد دقة، "ما بعد صهر الوعي: ملهى الإغراء والإغواء،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 139 (2024): 89-111؛ عبد الرحيم الشيخ، "الجغرافيا السابعة: الاستشهاديون، والشهداء، والكابو، في برزخ وليد دقة،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 139 (2024): 11-45.

[158] أبو دحو، **الحركة الفلسطينية الأسيرة**، مصدر سبق ذكره، 109.

[159] المصدر نفسه.

[160] المصدر نفسه، 115-116. بدأ الإضراب بتاريخ 27 أيلول 1992 في كافة السجون للمطالبة بتحسين الطعام والعلاج، وزيارات الأهل، وإدخال الكتب، ووقف سياسة التفتيش الدائم للغرف وتعمد تخريب محتوياتها. استشهد في هذا الإضراب الأسير حسين عبيدات بتاريخ 14 تشرين أول 1992 في سجن عسقلان.

[161] أبو عطوان، **مأسسة الحياة الاعتقالية**، مصدر سبق ذكره، 123.

[162] المصدر نفسه، 171.

[163] المصدر نفسه، 172.

[164] أحلام السمحان، **حوارية**، بيرزيت، 13 أيلول 2025.

[165] رلى أبو دحو، **مقابلة**، مصدر سبق ذكره.

[166] الغصين، مصدر سبق ذكره. 178.

[167] رلى أبو دحو، **مقابلة**، مصدر سبق ذكره. ضمَّت الوفود الزائرة للسجون كلاً من مروان البرغوثي وهشام عبد الرازق وسفيان أبو زايدة ومحمد دحلان. ولاحقاً ضمّ الوفد الزائر للأسيرات كلاً من مروان البرغوثي وفاطمة البرناوي التي كانت أول

أسيرة فلسطينية بعد سنة 1967، وأصبحت مسؤولة الشرطة النسائية بعد عودتها للوطن إثر اتفاقيات أوسلو. في حين رفضت الأسيرات استقبال نبيل شعث الذي كان عضواً في الوفد الفلسطيني المفاوض.

[168] المصدر نفسه.

[169] الغصين، مصدر سبق ذكره، 181. الأسيرة لمياء هي لمياء معروف التي كانت معتقلة مع زوجها توفيق والمحكومين بالسجن المؤبد. وهو من قرية دير بلوط في منطقة سلفيت، وهي تحمل الجنسية البرازيلية.

[170] المصدر نفسه، 181.

[171] المصدر نفسه، 183.

[172] مي الغصين، **حوارية**، جامعة بيرزيت، 13 أيلول 2025.

[173] رلى أبو دحو، **مقابلة**، 10 كانون الثاني 2026..

[174] Shwaikh, op. cit.

[175] Ibid.

[176] رلى أبو دحو، **مقابلة**، مصدر سبق ذكره.

[177] الغصين، **حجر الفسيفساء**، مصدر سبق ذكره، 129.

[178] Shwaikh, op. cit.

[179] Angela Y. Davis, Gina Dent, Erica R. Meiners, and Beth E. Richie, *Abolition Feminism Now* (Chicago: Haymarket Books, 2022).

[180] خالدة جرار، "الحرية المقبلة: تحطيم العبودية وتبييض السجون،" **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 137 (2024): 85-92.

[181] خضر عدنان من بلدة عرابة قضاء جنين. اعتقل 12 مرة أغلبها اعتقالات إدارية، وأمضى ما يقارب 9 سنوات في الاعتقال. استشهد في زنزانة العزل في سجن "نيتسان" (أحد أقسام سجن الرملة) بتاريخ 2 أيار 2023 بعد أن خاض إضراباً عن الطعام لمدة 86 يوماً.

[182] الغصين، **حجر الفسيفساء**، مصدر سبق ذكره.

[183] عطاف عليان، **حوارية**، بيرزيت، 20 كانون أول 2023. عطاف عليان من مواليد 20 تشرين أول 1962 من بيت لحم. اعتقلت 4 مرات: الأولى في سنة 1987 حيث أمضت 10 سنوات وأطلق سراحها في إطار اتفاقية طابا، والثانية في سنة 1997 وكان اعتقالاً إدارياً، والثالثة في سنة 2002 أمضت 9 أشهر، والرابعة في كانون الثاني 2005 وأطلق سراحها بتاريخ 13 آب 2008. كما شاركت خارج السجن في مقر الصليب الأحمر في رام الله في إضراب عن الطعام للمطالبة بتحرير جثمان الأسير الشهيد خضر عدنان.

[184] الغصين، **حجر الفسيفساء**، مصدر سبق ذكره.

[185] منى قعدان، **مقابلة** مع الباحثة أثناء تواجدهن معاً في نفس الغرفة في سجن الدامون،2021.

منى قعدان من قرية عرابة، جنين مواليد العام 1971. تعرضت للاعتقال أكثر من مرة: الأولى كانت في سنة 1999حيث أضربت

فيه عن الطعام لمدة 37 يوماً، وأعيد اعتقالها في سنة 2004، ثم في 2007 لأيام، ثم اعتقلت في سنة 2011، وأضربت فيه عن الطعام لمدة 18 يوماً وأطلق سراحها في "صفقة شاليط" في العام 2011 بعد أن أمضت 7 أشهر في الاعتقال، ثم أعيد اعتقالها في سنة 2012 وأمضت 43 شهراً في الاعتقال، ثم في سنة 2021 حيث أمضت 16 شهراً في الاعتقال. وشاركت قعدان أيضاً في إضرابات عن الطعام خارج السجن تضامناً مع أخيها طارق قعدان الذي أضرب عن الطعام في العام 2013.

[186] **حوارية** بين منى قعدان والباحثة أثناء تواجدهن معاً في نفس الغرفة في سجن "هشارون"، 2016.

[187] هناء شلبي من قرية برقين قضاء جنين. اعتقلت للمرة الأولى إدارياً في 14 آذار 2009، وأطلق سراحها في 18 تشرين الأول 2011 في إطار صفقة وفاء الأحرار "شاليط"، وأعيد اعتقالها بعد شهرين من تحررها تحت بند الاعتقال الإداري إلى أن تمَّ إطلاق سراحها وإبعادها إلى قطاع غزة في 12 نيسان 2012، بعد إضراب عن الطعام استمر لمدة 44 يوماً. وهي من مواليد العام 1982. للمزيد، انظر: قناة الحوار، "لقاء مع الأسيرة المحررة هناء الشلبي،" **قناة الحوار**، 7 نيسان 2012، شوهد في 15 آب 2022. https://www.youtube.com/watch?v=fPH9T_iSfPM.

[188] أنطونيو غرامشي، **قضايا المادية التاريخية**، ترجمة فواز طرابلسي، ط 2 (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2018)، 30-29.

المرجعية

بالعربية

- أبو دحو، رلى. **الحركة الفلسطينية الأسيرة 1967–1992: النضال من أجل الهوية الوطنية**. جامعة بيرزيت: رسالة ماجستير، 2014.
- ـــــــــــ. **مقابلة**. 29 تشرين أول/ أكتوبر 2025.
- أبو عرام، خليل. **معركة الكرامة والشرف: بين شراسة الهجمة واسطورية الصمود وإنسانية الأهداف**. سجن نفحة: حقوق الطبع للمؤلف، 2006.
- أبو عطوان، منقذ. **مأسسة الحياة الاعتقالية للأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية 1967–2005**. جامعة بيرزيت: رسالة ماجستير، 2007.
- ـــــــــــ. **استغلال الأيدي العاملة الأسيرة في سجون الاحتلال الصهيوني**. رام الله: هيئة شؤون الأسرى والمحررين، 2006.
- أبو ميّالة، ابتسام. **العناق الأخير**. القدس: دار إلياحور للنشر والتوزيع، 2023.
- البرغوثي، سهام. **حوارية**. بيرزيت، 19 أيلول/ سبتمبر 2025.
- بركات، رنا. "الاستعمار،" في **أبجديات تحررية فلسطينية**. معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان في جامعة بير زيت، 23 أيلول 2021، شوهد في 15 آب 2026.
  https://muwatin.birzeit.edu/ar/pea/colonialism.
- بيان صادر عن "لجنة الطوارئ الوطنية العليا للحركة الوطنية الأسيرة" للإعلان عن بدء إضراب قادة الحركة الأسيرة عن الطعام، بتاريخ 19 آذار 2023.
- جرار، خالدة. "الحرية المقبلة: تحطيم العبودية وتبييض السجون." **مجلة الدراسات الفلسطينية**. العدد 137 (2024): 85-92.
- الحاج، قسّم. "جامعة السجن في "هداريم": استئلاف الموحش وفقه البقاء." **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 135 (2023): 107-130.
- ـــــــــــ. "أربع أسيرات، أربع محرّرات: قصص عن الحرية." **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 128 (2021): 60-73.
- الخياط، نادية. **احترقت لتضيء**. رام الله: منشورات وزارة الثقافة، 2021.
- دقة، وليد. "حكاية سرٍّ الطيف: الشهداء يعودون إلى رام الله." **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 139 (2024): 68-88.
- ـــــــــــ. "ما بعد صهر الوعي: ملهى الإغراء والإغواء." **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 139 (2024): 89-111.
- ـــــــــــ. **صهر الوعي: ما قبله وما بعده**. القدس: دائرة سليمان الحلبي للدراسات الاستعمارية والتحرر المعرفي،

2026.

- سراحنة، أماني. "إبادة غير مرئية: تقرير عن أحوال الأسرى الفلسطينيين خلال الحرب." **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 137 (2024): 109-116.
- السمحان، أحلام. **حوارية**. بيرزيت، 13 أيلول/ سبتمبر 2025.
- الشنار، حاتم. **خمس نجوم تحت الصفر**. رام الله: وزارة الثقافة الفلسطينية، 2010.
- شواهنة، علي. **معركة العهد والوفاء وقصة الانتصار داخل سجون الاحتلال إضراب الكرامة 2012**. غزة: مؤسسة مهجة القدس 2012.
- الشيخ، عبد الرحيم. "الجغرافيا السابعة: الاستشهاديون، والشهداء، والكابو، في برزخ وليد دقة." **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 139 (2024): 11-45.
- ـــــــــــ. "الشهداء يعودون الى رام الله. " **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 133 (2023): 128-155.
- صايغ، روز ماري. **الفلاحون الفلسطينيون من الاقتلاع الى الثورة**، ترجمة خالد عايد. القدس: منشورات صلاح الدين، 1983.
- صيقلي، شيرين. **رجال المال: الندرة والاقتصاد في فلسطين في إبان الانتداب**، ترجمة ابتسام بن خضراء. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2025.
- عجور، أشجان. "الإضراب عن الطعام وتسليح الجسد: فلسطين وتجارب عالمية." **مجلة الدراسات الفلسطينية**، العدد 133 (2023): 169-188.
- عليان، عطاف. **حوارية**. بيرزيت، 20 كانون أول/ ديسمبر 2023.
- عودة، عائشة. **أحلام بالحرية**. رام الله: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2007.
- ـــــــــــ. **ثمناً للشمس**. رام الله: مواطن- المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2012.
- غرامشي، أنطونيو. **قضايا المادية التاريخية**، ترجمة فواز طرابلسي. ط 2. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 2018.
- الغصين، مي. **حجر الفسيفساء**. رام الله: مركز بيت المقدس للأدب، 2021.
- ـــــــــــــــــــــــ. **حوارية**. جامعة بيرزيت بتاريخ 13 أيلول/ سبتمبر 2025.
- غنيم، سعاد. **ذاكرة القضبان**. عمان: دار دجلة، 2022.
- فانون، فرانز. **معذبو الأرض**، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي. بيروت: دار القلم، 1961.
- الفاهوم، وليد. **طيور نفي ترتسا**. الناصرة: مكتبة الفاهوم، 1984.
- ـــــــــــ. "استشهاد الأسير أنيس دولة." **هيئة شؤون الأسرى**. 31 آب 2021، شوهد 15 آب 2026. https://cda.gov.ps/index.php/ar/83-fastnews/93374-41-
- فروانة، عبد الناصر. "في ذكرى استشهاد الأسيرين حلاوة والجعفري." Palestine Behind Bars. 20 تموز 2009، شوهد في 15 آب 2026.

https://www.palestinebehindbars.org/ferwana20t2009.htm.

- فوكو، ميشيل. **المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن**، ترجمة علي مقلد. بيروت: مركز الإنماء القومي، 1990.
- قراقع، عيسى. **الأسرى الفلسطينيون في السجون الإسرائيلية بعد أوسلو 1993–1999**. جامعة بيرزيت: رسالة ماجستير، 2000.
- قعدان، منى. **حوار**. سجن "هشارون"، 2016.
- ـــــــــــــ. **مقابلة**. سجن الدامون،2021.
- قناة الحوار. "لقاء مع الأسيرة المحررة هناء الشلبي." 7 نيسان/ أبريل 2012، شوهد في 15 آب 2022. https://www.youtube.com/watch?v=fPH9T_iSfPM
- القيمري، عطا. **السجن ليس لنا**. سجن نفحة: د.ن، 1985.
- لانغر، فليتسيا. **بأم عيني**. القدس: منشورات صلاح الدين، 1975.
- لوكاش، جورج. **التاريخ والوعي الطبقي**، ترجمة حنا الشاعر. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، 1983.
- مؤسسة الضمير لرعاية الأسير وحقوق الإنسان. **نقطة سكون في عالم متحرك: تقرير حول الحيز المكاني في السجون**. رام الله: مؤسسة الضمير لرعية الأسير وحقوق الإنسان، 2023.
- هارفي، ديفيد. **الليبرالية الجديدة: موجز تاريخي**، ترجمة مجاب الإمام. الرياض: العبيكان للنشر، 2008.
- هلال، جميل. **تكوين النخبة الفلسطينية منذ نشوء الحركة الوطنية الفلسطينية إلى قيام السلطة الوطنية**. رام الله: مواطن—المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، 2002.
- هيئة شؤون الأسرى والمحررين. "تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية." 28 أيار 2019، شوهد في 15 آب 2026. https://cda.gov.ps/index.php/ar/ar-prisoner-movement/history-of-pri-m/677323-13-19-28-05-2019-.
- وطّار، الطاهر. **الشهداء يعودون هذا الأسبوع**. ط 2. الجزائر: منشورات مطابع الحزب، 1980.
- وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية (وفا). "أسيرات محررات في عمليات التبادل." د. ت.، شوهد في 15 آب 2026. https://info.wafa.ps/pages/details/32980
- ـــــــــــــ. "تاريخ الحركة الأسيرة الفلسطينية." د. ت. شوهد في 15 آب 2026. https://info.wafa.ps/pages/details/32928.
- ولد القابلة، إدريس. "سعيدة المنبهي... امرأة أحبَّت الضوء." **هيربرس**. 26 آب 2011، شوهد 15 آب 2026. https://www.hespress.com/59464-سعيدة-المنبهي-امرأة-أحبت-الضوء.html.

بالأجنبية

- Abu Sheineh, Mustafa. "Beds, Kettles and Books: How hunger strikes changed the cells of Palestinian Prisoners." *Middle East Eye*. 1 May 2019, accessed 15 August 2026. Beds, kettles and books: How hunger strikes changed the cells of Palestinian prisoners | Middle East Eye.
- Al-Shaikh, Abdul-Rahim. "Palestine: The Tunnel Condition." *Contemporary Arab Affairs*. Vol. 3, No. 4 (2010): 480-494.
- Aretxaga, Begoña. "Dirty Protest: Symbolic over Determination and Gender in Northern Ireland Ethnic violence." *Ethos*. Vol. 23, No. 2 (1995): 123-148.
- Cabell, Mimi, Samir Harb, and Nicola Perugini. *Morbid Symptoms: Interregnum and Loops of Authority in the Muqata'as*. Ramallah: Sharjah Biennial 13, 2017.
- Davis, Angela, Gina Dent, Erica R. Meiners, and Beth E. Richie. *Abolition Feminism Now*. Chicago: Haymarket Books, 2022.
- Davis, Angela. "On Palestine, G4S, and the Prison-Industrial Complex," lecture at SOAS University of London, 2013.
- _____. *Freedom Is a Constant Struggle: Ferguson, Palestine, and the Foundations of a Movement*. Chicago: Haymarket Books, 2016.
- Elaissi, Hanane. "The Rise of Feminist Consciousness in Morocco during the Lead Years," *International Journal of Education and Research*, Vol. 3, No. 2 (2015): 657-666. Feldman, Alan. *Formations of Violence: The Narrative of the Body and Political Terror in Northern Ireland*. Chicago: University of Chicago Press, 1991.
- Gallagher, Philomena. "Women Imprisoned as a Result of the Struggle." *Canadian Woman Studies/ les cahiers de la femme*. Vol. 17, No. 3 (1997): 52-56, 52.
- Guessous, Nadia. *Women and Political Violence during the Years of Lead in Morocco*. Rabat: The Moroccan Advisory Council on Human Rights in Partnership with the United Nations Development Fund for Women, 2009.
- Hachad, Naïma. "The Rise of a Feminist Consciousness in Saïda Menebhi's Prison Writings," in *Revisionary Narratives: Moroccan Women's Auto/Biographical and Testimonial Acts*, Vol. 64. Liverpool: Liverpool University Press, 2019.
- Johansson, Anna and Stellan Vinthagen. "Dimensions of Everyday Resistance: An Analytical Framework." *Critical Sociology*. Vol. 42, No. 3 (2016): 417–435.
- Johansson, Anna and Stellan Vinthagen. *Conceptualizing "Everyday Resistance": A Transdisciplinary Approach*. New York: Routledge, 2020.

- Khalili, Laleh. "The Location of Palestine in Global Counterinsurgencies." *International Journal of Middle East Studies*. Vol. 42, No. 3 (2010): 413-433, 419—420.
- Manuel, José and Liza R. "United States: Mass Incarceration, Mass Struggle," *In Defence of Marxism*. 11 December 2014, accessed 15 August 2026. https://marxist.com/united-states-mass-incarceration-mass-struggle.htm.
- Meari, Lena, "Re-Signifying 'Sexual' Colonial Power Techniques: The Experiences of Palestinian Women Political Prisoners," in *Rethinking Gender in Revolutions and Resistance: Lessons from the Arab World*, eds. Maha El Said, Lena Meari, and Nicola Pratt. London: Zed Books, 2015.
- Miller, Ian. *A History of Force Feeding: Hunger Strikes, Prisons and Medical Ethics, 1909—1974*. Cham: Springer Nature, 2016.
- Nashif, Esmail. *Palestinian Political Prisoners: Identity and Community*. New York: Routledge, 2010.
- Norman, Julie. "Palestinian Prisoners' Movement and Everyday Resistance." *Journal of Resistance Studies*. Vol. 6, No. 1 (2020): 40-68.
- Shwaikh, Malaka. "Engendering Hunger Strikes: Palestinian Women in Israeli Prisons." *British Journal of Middle Eastern Studies*. Vol. 49, No. 4 (2020): 507-525.
- Teehan, Daniel. "How British Hunger Strikers Scored a Victory for Palestine." *Current Affairs*, 27 January 2026, accessed 15 August 2026. https://www.currentaffairs.org/news/how-british-hunger-strikers-scored-a-victory-for-palestine.
- Whalen, Lachlan. "A Womanish Thing": The Price Sisters and the Gendered Dimensions of Irish Republican Hunger Strikes in England, 1973—74." *New Hibernia Review*. Vol., 23, No. 2 (2019): 95-113.

هذا الكتاب

تنبثق هذه الدراسة، بعنوان: «الاحتجاج لأجل الحرية: تجربة الأسيرات الفلسطينيات في سجون الاحتلال ‹الإسرائيلي›» من مشروع بحثي أوسع بعنوان: «الأبعاد الطبقية والنوع اجتماعية للحركة الأسيرة الفلسطينية»، وهو مشروع تشتغل عليه المؤلفة كباحثة متطوعة في معهد مواطن للديمقراطية وحقوق الإنسان في جامعة بيرزيت، فلسطين. تتناول الدراسة في قسمها الأول، وعلى نحو مقارن، التقاطعات الاحتجاجية في سجون القمع في فلسطين، والمغرب، وأيرلندا التي تتشابه فيها، حدَّ التماثل، سياسات القمع السجنية في كيانات ما بعد استعمارية، واستعمارية، واستبدادية من ناحية، واستراتيجيات النضال النسوي في مواجهة تلك السياسات من ناحية أخرى. كما تتناول في قسمها الثاني، الممارسات الاحتجاجية للأسيرات الفلسطينيات في السجون الصهيونية في الفترة الممتدة بين 1967-2026، والمتمثلة بالعصيان، والإضراب عن العمل، والإضرابات السياسية لأجل الحرية الكاملة، مع تركيز خاص على الإضراب عن الطعام باعتباره أداةً موقعها الجسد وهدفها المشاركة في النضال داخل السجون كجزء من المقاومة النسوية التحررية التي تتكامل مع النضال الوطني لأجل الحرية وتقرير المصير. وتسعى هذه الدراسة إلى سدِّ فجوة الندرة في تغطية الاحتجاج لأجل الحرية في الحركة الفلسطينية الأسيرة منطلقة من تجربة الأسيرات الفلسطينيات، ومعتمدة، في جانب، على منهجية الحوارية التذكُّرية رفقة الأسيرات السابقات لئلا تجعل من «المقابلة» عودة غير منتجة لذكريات «التحقيق» و«المواجهة» المؤلمة، وعلى تجربة المؤلفة نفسها في الأسر، في جانب آخر.

ISBN 978-9950-443-00-6

الجنوب